
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الصراع الوحشى
٩٥
د. نبيل فاروق
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الصراع الوحشى

- كيف يتصدى (أدهم صبرى) وحده، لجيش (برنارد) الصغير ؟ ..
- ما سر تلك الحقيبة السوداء الصغيرة، التى عثرت عليها (منى توفيق)، فى حجرتها بالفندق ؟
- ترى من يحقق النجاح هذه المرة .. (أدهم صبرى) و (منى)، أم رجال (سونيا جراهام)، أصحاب (الصراع الوحشى) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ لترى كيف يعمل ويقاتل (رجل المستحيل).

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة







العدد القادم : المعركة الفاصلة

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - رجل وجيش ..

انتفض جسد (قدرى) فجأة، فوق فراشه الوثير، فى حجرة العناية المركّزة بالمستشفى، فهبّت ممرضة الحجرة من مقعدها، وأسرعت إليه، ولحق بها الطبيب المسئول؛ ليقيس نبضه وضغطه، ويراقب رسّام القلب الكهربى، ومعدّل التنفس، إلا أنهما فوجئا بـ (قدرى) يفتح عينيه فى بطء، ويهمهم بكلمة ما، فمالت الممرضة نحوه، قائلة:

- ماذا تقول؟

رفع صوته، قائلاً:

- أنا جائع.

تبادل الطبيب والممرضة نظرة دهشة، ثم ابتسم الطبيب فى ارتياح، وهو يقول:

- حمدًا لله على سلامتك.

سأله (قدرى) فى إعياء:

- أين أنا؟.. وماذا أفعل هنا؟.. وما هذا الألم، الذى أشعر به فى صدرى؟

أجابه الطبيب، وهو يفحصه فى هدوء وعناية:

- لقد نجوت بأعجوبة يا رجل.

استعاد (قدرى) ذاكرته دفعة واحدة، فهتف، وهو يحاول النهوض من فراشه:

ـ إنه (ناصر).. (ناصر خيرى).. لقد أطلق علىّ النار.. إنه جاسوس.

ولكن محاولته للنهوض آلمته، فعاد يرقد على فراشه، وهو يقول:

ـ أبلغهم فى الإدارة.

ربّت الطبيب عليه، وهو يقول:

ـ اطمئن يا رجل.. لقد ألقوا القبض عليه.

تنفس (قدرى) الصعداء، وهو يقول:

ـ حمدًا لله.. حمدًا لله.

ثم هتف فجأة:

ـ أريد (أدهم).. (أدهم صبرى).. قل لهم أن يرسلوا فى طلبه.. إنه صديقى الوحيد.. قل لهم أن يبلغوه..

ثم عاد إلى غيبوبته دفعة واحدة، فهزّ الطبيب رأسه فى أسف، وقال:

ـ مسكين.. إنه يهذى.

والتفت إلى الممرضة، يسألها:

ـ ومن (أدهم صبرى) هذا؟..

لم يكن يدرى لحظتها أن (أدهم صبرى) هذا هو أكثر

رجال المخابرات شهرة، فى العالم أجمع، وأنه فى هذه اللحظة بالذات، كان فى موقف لا يُحسد عليه أبدًا.

كان يواجه جيشًا..

جيشًا كاملًا..

★ ★ ★

لقد بدأ الأمر مع عودة (أدهم) إلى (كيواوا) لتصفية أعماله، استعدادًا لتسلّم عمله مرة أخرى، فى المخابرات المصرية..

لقد هاجمته دستة من رجال (سونيا جراهام)، وكادوا يفتكون به، فور وصول طائرته الخاصة إلى مزرعته، لولا أن نجح فى الإقلاع بالطائرة مرة أخرى، والفرار منهم..

ولكن الوقود نفذ بسرعة، مما اضطره إلى الهبوط فى الجبال..

وبدأ قتال جديد..

وبفضل ذكائه وخبرته، نجح (أدهم) فى خداع مطارديه، وباغتهم بهجوم فردى، ونجح فى اختطاف إحدى سياراتهم، والفرار بها عبر الصحراء..

وبدأت مطاردة جديدة..

مطاردة خسر فيها المطاردون سبعة رجال، دون أن يظفروا بـ (أدهم)..

ولكن (أدهم) فقد وعيه فى قلب الصحراء ..
وبدأ الرجال عملية بحث عن (أدهم) ..
وجنّ جنون (أكشن مايكل)، مندوب (سونيا)، الذى يقود العملية كلها ..
وجمع (برنارد)، قائد الرجال مائة مقاتل، ليصنع منهم جيشًا صغيرًا، أعدّه لاقتناص (أدهم صبرى) فور العثور عليه ..
وكان (أدهم) فى مزرعة (برونكو فيلا)، المعرض القديم بالجيش المكسيكى، الذى عاد إلى (كيواوا)، ليستقر فى مسقط رأسه، مع ابنته (ماريانا) ..
واستعاد (أدهم) حيويته ونشاطه، واستعد لملاقاة جيش (برنارد)، وهو يتصوّره مجرّد عصابات عشوائية همجية، متعطشة للدماء ..
وعندما بدأ الهجوم، أدرك (أدهم) أنه كان مخطئًا ..
إنه يواجه جيشًا منظمًا ..
جيشًا يحتاج منه إلى بذل كل قوته ..
لو أن هذا يكفى ..(*)

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأوّل .. (كتيبة الدمار) .. المغامرة رقم (٩٤).

كان الموقف عصيبًا بحق ..
إنه (أدهم صبرى) وحده، فى مواجهة (برنارد) ورجاله ..
رجل واحد، يواجه جيشًا من القتلة المحترفين ..
وعلى الرغم من دقة الموقف وصعوبته، إلا أن (أدهم) ظلّ مسيطرًا على أعصابه، رابط الجأش، وهو يصوّب البندقية الوحيدة التى يحملها، إلى مروحة الهليوكوبتر الأولى، ويطلق النار ..
وأصابت رصاصته مروحة الهليوكوبتر، عند قاعدتها مباشرة، فاختلّ توازنها بغتة، وهتف قائدها فى ارتياع:
- يا للشيطان !.. لقد أصابنا ذلك اللعين فى ...
ولكنه لم يتمّ عبارته ..
لم يجد الوقت لهذا ..
لقد مالت الهليوكوبتر فى عنف، على ذلك الارتفاع المنخفض، فارتطمت مروحتها العلوية بسقف المنزل، وتحطّمت بدوىّ كالقنبلة، فدارت الهليوكوبتر حول نفسها، واصطدمت بالمدخنة، ثم هوت بزاوية حادة نحو الأرض، وانفجرت ..
ومع تطاير شظايا الهليوكوبتر المنفجرة، تراجعت الأخرى فى سرعة، وصاح قائدها، عبر جهاز اللاسلكى:

ـ مستحيل !.. لقد أسقط الهليوكوبتر يا سنيور (برنارد) .. إنه ليس رجلًا عاديًا .

صرخ فيه (برنارد) :

ـ لا تتراجع أيها الجبان .. انقضّ عليه .. أطلق نيرانك .

ولكن تلك المحادثة القصيرة ، مع تراجع الهليوكوبتر ، منحا (أدهم) فرصة للتركيز على فريق (برنارد) ، الذى يهاجمه من الشرق ، فصوّب بندقيته إليه ، وأطلق النار ..

وكانت المفاجأة ..

مع كل رصاصة يطلقها (أدهم) ، كانت الأرض تنفجر فى عنف وشدة ، وتشتعل كبراكين صغيرة ، تطيح بكل من اقترب منها ، إلى مسافة خمسة أمتار ..

وارتفع حاجبا (فيدوك) فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟

عقد (برنارد) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ كنت أعلم أنه لا يزرع الحقول بالبذور ..

هتف (فيدوك) ، وهو يتابع بمنظاره المقرّب تلك الانفجارات المتتالية ، التى تطيح بالمهاجمين يمينًا ويسارًا :

ـ ولكن من أين له بهذه القنابل الشديدة الانفجار ؟!.. لقد حاصرنا (كيواوا) كلها ، ولم نسمح لمخلوق سوانا

بابتياع رصاصة واحدة !.. كيف فعل هذا ؟.. هل عثر فى تلك المزرعة اللعينة ، على مخزن ذخيرة قديم ؟

قال (برنارد) فى سخط ، وأعماقه تغلى كالبركان الثائر :

ـ لست أدرى ، ولكن هذا الرجل ليس سهلًا أبدًا .. إننى أتساءل : كيف علم أننا نستعد للهجوم عليه ؟.. من أبلغه بهذا الأمر ؟

أما (أدهم) ، فظلّ يصوّب بندقيته إلى نقاط محدودة ، حدّدها مسبقًا ، وهو يطلق الرصاصات نحوها ، فتدوى الانفجارات ، وتثير الذعر والبلبلة فى الصفوف ..

والعجيب أن رجال (برنارد) بدءوا يتراجعون بكل أسلحتهم ، أمام رجل واحد ، مما أثار جنون قائدهم ، فصاح بهم :

ـ لا تتراجعوا أيها الأوغاد .. واصلوا هجومكم .. أطلقوا مدافع (الهاون) .

كان الرجال قد فقدوا نصفهم تقريبًا ، مع تلك الانفجارات المتوالية ، ولكن النصف الآخر منهم أطلق القنابل نحو المزرعة ..

ودوت الانفجارات حول (أدهم) ..

وعادت الهليوكوبتر الثانية تنقض على المبنى ، وتمطره برصاصاتها ..

وفى نفس اللحظة ، بدأ (ماثيو) و (روكو) هجومهما من الغرب ..

وأصبح الموقف شديد التعقيد ..

وصرخ (برنارد) ، وقد أدرك أن (أدهم) سقط بين شقى الرحى :

ـ أطلقوا نيرانكم بسخاء .. انسفوا المزرعة كلها .. دمروها عن آخرها ..

وكأنما كان الجميع فى انتظار هذا الأمر ..

لقد فتحوا نيرانهم فى آن واحد ، من الهليوكوبتر والشرق والغرب ..

ولم تعد بندقية (أدهم) الوحيدة بقادرة على صدّ الهجوم ، وقد فتح الجحيم أبوابه على مصاريعها ، وراح ينفث نيرانه على المزرعة ، لتلتهمها بكل ما فيها ..

ومن فيها ..

ولكن (أدهم) لم يستسلم ..

ولم يعلن الهزيمة ..

لقد ألقى بندقية (برونكو) جانبًا ، وتحرّك بسرعة إلى

الجانب الشمالى من المبنى ، وفتح صنبور خزان الرى عن آخره ..

وتدفّق سائل وردى من الخزّان ، وانساب بسرعة ، عبر قنوات الرى ، التى تصنع شبكة كبيرة ، تحيط بالمزرعة ..

ولم تمض لحظات ، حتى أفرغ الخزان محتوياته كلها ، عبر شبكة الرى ، المحفورة وسط الحقول ، وأشعل (أدهم) عودًا من الثقاب ..

وألقاه فى ذلك السائل الوردى ، ذى الرائحة النفّاذة ..

ووُلِدَ جحيم جديد ..

فذلك السائل ، الذى أطلقه (أدهم) وسط الحقول ، لم يكن الماء المعتاد ، الذى تستخدم قنوات الرى لنقله إلى المزروعات ..

بل كان بنزينًا ..

وفجأة ، وجد رجال (برنارد) و (ماثيو) أنفسهم محاصرين بشبكة من النيران ، فتراجعوا فى ذعر ، وصاح بهم (برنارد) :

ـ تراجعوا .. تراجعوا .. إنه فخ .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى عادت الانفجارات تدوى فى المكان ، وتطيح بالرجال من كل جانب ..

وشعر (برنارد) بغضب ومرارة ، لاحدّ لهما ..

لقد أحسن (أدهم) صنع دفاعاته ..

أحسنها حتى أنه نجح وحده ، فى التصدى لجيش كامل ..

وفجأة ، صرخ (برنارد) :

ـ لا .. لن يربح مرة أخرى .. أطلقوا المدافع يا رجال .. قاتلوا بكل قوتكم .

وعاد الجحيم يفتح أبوابه ..

ولم تنطلق رصاصة أخرى من بندقية (أدهم) ..

لقد صمتت تمامًا ، مع الصواريخ التى راحت تدك مبنى المزرعة دكًا ، وتحيله إلى أنقاض وأطلال مشتعلة ..

واستغرق ذلك الجحيم نصف ساعة كاملة ، فقد فيها (برنارد) ستة وأربعين من رجاله ، الذين أطلقوا مليون طلقة تقريبًا على مبنى المزرعة ، وقذفوه بسبعة عشر صاروخًا ، وثلاثين قنبلة يدوية ، وأثاروا فزع المنطقة كلها ، حتى أن أصحاب المزارع المجاورة تصوروا أن الحرب العالمية الثالثة قد اندلعت بغتة ، واختارت (كيواوا) فتيلًا لانفجارها ، أو أن الشمس قد أبدلت رأيها ، وقررت أن تشرق مرة ثانية ، فراحت تتصارع مع الأرض ، لتفرض وجودها من جديد ..

ثم توقف كل شىء ..

ولكن بعد أن انهارت المزرعة تمامًا ، وتحولت إلى أطلال محترقة متهالكة ..

ولثوان ، ساد هدوء تام فى المنطقة كلها ، إلا من صوت فرقعة الأخشاب ، التى تلتهمها النيران فى هدوء وبطء ..

ثم انفجر (ماثيو) فجأة ، فى سعادة غامرة :

ـ لقد انتصرنا .. انتصرنا على ذلك الشيطان ..

ومع صرخته ، اشتعل الحماس فى قلوب الرجال ، فراحوا يطلقون النيران من مدافعهم الآلية فى سعادة ، وهم يطلقون صيحات همجية ظافرة ..

إلا (برنارد) ..

لقد وقف صامتًا ، معقود الحاجبين ، يراقب الأطلال المحترقة فى مزيج من الشك والقلق ، وكأنه لا يصدق أنه قد انتصر على (أدهم صبرى) ..

كانت فى أعماقه بذرة شك ..

بذرة تنمو بسرعة ، وتنبت أشجار القلق والخوف ، حتى أنه لم يشارك الرجال صيحاتهم الظافرة ، وهو يتطلع إلى النيران ..

كان يحنقه فى الواقع أن يفرح الرجال إلى هذا الحد ، بانتصارهم على رجل واحد ؛ فهذا يعنى أنهم يعترفون بأن هذا الرجل الواحد يفوقهم قوة وخبرة ..

واقترب منه (روكو) ، وهو يحمل زجاجة من بخاخات المبيدات الحشرية ، وقد التصقت بها قارورة صغيرة ، تحوى سائلًا نصف شفاف ، وقال :

- انظر يا (برنارد) .. هذا ما كان يزرعه ذلك الشيطان منذ الصباح .. لقد أحاط المزرعة كلها بهذه الأشياء .. ومن موقعه داخل المبنى ، كان يطلق النار على زجاجات المبيدات الحشرية ، فينفجر الهواء المضغوط داخلها ، ومع الانفجار يرتج ذلك السائل فى القارورة ، وينفجر انفجارًا مروّعًا .. إنه (نيتروجلسرين)(*) . هل رأيت عقلية أكثر خطورة من هذا ؟

لم يعلّق (برنارد) على عبارته ، فتابع وهو يبعد الزجاجة فى حرص :

- وهل لاحظت خدعة البنزين ؟.. لقد حاصرنا بالنيران ، ووضع تلك العبوات وسط القنوات ، بحيث يؤدى اللهب إلى انفجار الزجاجات و (النيتروجلسرين) ..

(*) النيتروجلسرين : سائل زيتى لا لون له ، شديد الانفجار ، واسمه الدقيق (ثلاثى نترات الجلسرين) ، وهو شديد الحساسية للصدمات والارتجاج ، ويصنع بمزج حمض النيتريك مع الجلسرين ، بنسبة ثلاثة إلى واحد حجمًا ، وهو يستخدم لصنع الديناميت ، أو البارود اللادخانى ، وله استخدامات طبية .



واقترب منه (روكو) ، وهو يحمل زجاجة من بخاخات المبيدات الحشرية ، وقد التصقت بها قارورة صغيرة ...

اللعنة !.. من حسن حظنا أننا نجحنا أخيرًا فى التخلص منه .

قال (برنارد) فى صرامة :

ـ فتشوا الأطلال .

تطلع إليه (روكو) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ نفتش ماذا ؟

صاح به فى صرامة :

ـ فتشوا الأطلال .. افحصوها شبرًا شبرًا .. اقلبوا كل شىء رأسًا على عقب ..

المهم أن تعثروا على جثته ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى غضب :

ـ أريد التيقن من أن هذا الشيطان قد لقى مصرعه .. لن أثق فى انتصارنا ، حتى أرى جثته المحترقة بنفسى .

غمغم (ماثيو) ، وهو يتبادل نظرة قلقة مع (روكو) و (فيدوك) :

ـ ولكن أيها القائد ..

صرخ (برنارد) :

ـ نفذوا الأوامر .

وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، وهو يتطلع إلى الأطلال المحترقة ..

وفى أعماقه ، تضاعف الشك والقلق ..

ولكن الرجال أطاعوه ، وراحوا ينبشون الأطلال كلها طوال ساعة كاملة ، قبل أن يتجه (فيدوك) إلى (برنارد) ، وهو يلهث قائلًا :

ـ لم يعد هناك أدنى شك يا (برنارد) .. إننا لم نعثر على أدنى أثر للحياة ..

ولكن الشك والقلق لم يفارقا (برنارد) ..

لم يفارقاه قط ..

* * *



٢ ـ الفــخ ..

بدأ شعور (منى) بالانفعال والتوتر، منذ اللحظة الأولى، التى وطئت فيها قدماها أرض (مكسيكو سيتى)، ولكنها تماسكت، وحافظت على هدوئها الداخلى، وهى تبتسم فى وجه ضابط الجوازات، قائلة:

ـ من الواضح أن المناخ رائع عندكم، فى هذه الفترة من العام .. أليس كذلك؟

ألقى الرجل نظرة طويلة على جواز سفرها، الذى يحمل صورتها بشعرها الأشقر المصبوغ، والذى يشير إلى أنها مهاجرة سورية، تحمل الجنسية البرازيلية، تحت اسم (ليلى صفوان)، ثم أجاب فى لهجة روتينية جافة:

ـ المناخ لدينا رائع باستمرار، ولكن الحرارة ترتفع فى بعض الأحيان، فى هذه الفترة من العام.

ثم التفت إلى زميل له، واستطرد فى هدوء:

ـ قم بالفحص اللازم ..

سألته (منى) فى شىء من القلق:

ـ أى فحص هذا؟

رسم على شفتيه ابتسامة باردة، وهو يجيب:

ـ مجرد فحص روتينى للبيانات، بوساطة الكمبيوتر .. لا داعى للقلق.

تابعت زميله ببصرها، وهو يدلف إلى حجرة صغيرة، ويغلق بابها خلفه، وقالت:

ـ وهل سيستغرق هذا وقتًا طويلًا؟

هز كتفيه، مجيبًا:

ـ دقيقتين على الأكثر.

سألته فى حدة:

ـ ولماذا لم يتم تطبيق هذا الإجراء على السابقين؟

قال فى برود:

ـ إننا نختار عينات عشوائية.

تزايد القلق داخلها، ولكنها لزمت الصمت، وانتحت جانبًا؛ ليكمل ضابط الجوازات عمله، وهى تراقب الحجرة، ولكن زميله داخلها لم يستغرق سوى دقيقتين بالفعل، ثم عاد إليها بجواز السفر، وهو يقول بلهجة مهذبة للغاية:

ـ تفضلى يا سيدتى .. كل شىء على ما يرام، ومعذرة للتأخير.

استعادت الجواز فى ارتياح، ومنحها ضابط الجوازات واحدة من ابتساماته الباردة، وهو يضيف إلى قول زميله:

ـ نتمنى لك إقامة طيبة فى (المكسيك) .

شكرته (منى) ، وحملت حقيبتها الكبيرة الوحيدة ، وهى تغادر مبنى المطار ، ولم تكد تبتعد ، حتى التفت ضابط الجوازات إلى زميله بنظرة متسائلة ، فأومأ هذا الأخير برأسه إيجابًا ، وقال فى لهجة تشف عن الارتياح :

ـ إنها هى .

تألقت عينا ضابط الجوازات فى ظفر ، وقال :

ـ قم بالإجراءات التالية إذن .

أجابه زميله بلهجة تحمل نفس النغمة الظافرة :

ـ سأفعل على الفور .

واستدار ليعود إلى الحجرة فى حماس ، إلا أن الأول استوقفه ، وهو يقول :

ـ لا تنس أن تذكرهم بمكافأتنا .

وتألقت عيناه أكثر وأكثر ..

أما (منى) ، فلم تكد تغادر مبنى المطار ، حتى اقترب منها شاب هادئ ، وهتف بابتسامة كبيرة :

ـ واعزيزتى (ليلى) .. كنت أتوقع قدومك فى الشتاء .

أجابته (منى) فى سرعة :

ـ إننى أفضل برودة الصيف .

قال هو ، وابتسامته تحمل ارتياحًا واضحًا :

ـ (كيواوا) تناسبك أكثر إذن .

ثم صافحها فى مودة ، وهو يناولها سلسلة مفاتيح ، مستطردًا :

ـ مرحبًا بك فى (المكسيك) أيتها الرائد .. لقد أبلغونا من القاهرة ، بحضورك ، وهذه مفاتيح سيارة قوية ، ستجدينها فى الموقف العام للسيارات فى (كيواوا) ، تحت رقم (١٠٠٣٢١) ، وبها كل ما تحتاجين إليه .

التقطت سلسلة المفاتيح ، ووضعتها فى جيبها بسرعة ، وهى تسأله :

ـ هل من أخبار جديدة عن (أدهم) ؟

أجابها فى صوت خافت :

ـ لم تكتمل معلوماتنا بعد ، ولكنهم لم يظفروا به حتى الآن على الأقل .

تنهدت ، قائلة :

ـ حمدًا لله .

سألها فى اهتمام :

ـ متى تسافرين إلى (كيواوا) ؟

أجابته بسرعة :

ـ الآن على الفور .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولكنك قادمة من سفر طويل ، وتحتاجين إلى بعض الراحة ، و ...

قاطعته ، قائلة :

ـ لا وقت لهذا .

سألها ، وهو يتأمّلها مليًا :

ـ ألا تحتاجين إلى معاونة ؟.. يمكننا أن نرسل معك اثنين من رجالنا .

قالت مبتسمة في إرهاق :

ـ هذا سيلفت الأنظار أكثر .

ثم لوّحت بيدها ، مستطردة :

ـ والآن إلى اللقاء .. سأداوم الاتصال بكم ؛ لنتبادل المعلومات .

راقبها وهي تنطلق بخطوات سريعة إلى الموقف العام للحافلات ، ثم اتجه هو إلى سيارته ، وهو يبتسم قائلًا في إعجاب :

ـ عظيمة أنت بأبنائك يا (مصر) .

وانطلق بالسيارة ، وهو يعلم أن مهمتها لن تكون سهلة ..

لن تكون كذلك أبدًا ..

★ ★ ★

كان بريق عينى (سونيا جراهام) يكفى لإنارة حجرة صغيرة ، وهى تهتف فى سمّاعة الهاتف ، التى تكاد تعتصرها بأصابعها :

ـ وصلت ؟.. (منى توفيق) .. وصلت إلى (مكسيكو سيتى) ؟!

أجابها (مايكل) عبر الهاتف ، من (كيواوا) :

ـ نعم يا سيّدتى .. كما توقّعت أنتِ تمامًا .. لقد وصلت منذ ساعة واحدة ، وهى تحمل جواز سفر برازيليًا ، باسم (ليلى صفوان) ، ولكن الرشوة التى وعدنا بها ضباط الجوازات كانت مغرية للغاية ، فاستخدموا الجهاز الذى منحناهم إياه ، وقارنوا بين صورتها على جواز السفر ، وتلك التى تم تخزينها فى الكمبيوتر ، فانكشف تنكّرها على الفور .

سألته فى انفعال :

ـ وماذا فعلوا بها ؟

أجابها فى حذر :

ـ لا شىء يا سيّدتى .. لقد نفذنا أوامرك حرفيًا ، واكتفى رجالنا بمراقبتها وتعقّبها ، وهى فى طريقها إلى (كيواوا) الآن ، فى حافلة عامة ، تستغرق رحلتها ، من

(مكسيكو سيتى) إلى هنا ، قرابة العشر ساعات ، أى أنها ستصل فى السابعة صباحًا تقريبًا .

ثم أضاف فى حذر أكبر :

ـ ونحن فى انتظار أوامرك وتوجيهاتك يا سيِّدتى .

برقت عيناها أكثر وأكثر ، وهى تقول :

ـ كنت أعلم أنها ستأتى .. كنت واثقة من أنها ستهرع إليه ، عندما تشم رائحة الخطر المحيط به .. إنها فرصتى النادرة ، لسحق الاثنين بضربة واحدة .

قال (مايكل) فى حيرة :

ـ ماذا يا سيِّدتى ؟

صاحت به فى غلظة :

ـ ليس هذا من شأنك .. قل للرجال أن يواصلوا تعقبها ، وأن ينتظروا أوامرى فى أية لحظة .

قال فى سرعة :

ـ أمرك يا سيِّدتى .. هل من أوامر أخرى ؟

قالت فى خشونة :

ـ فيما بعد .

وأنهت المحادثة فى عصبية ، ثم التقطت واحدة من سجائرها الخاصة ، وأشعلتها ، وراحت تنفث دخانها فى

سماء حجرة مكتبها لحظات ، قبل أن تهبَّ واقفة ، وتندفع إلى الحديقة ، وتصيح فى مربية طفلها فى غلظة :

ـ أحضرى الصغير .

أطاعتها المربية على الفور ، وحملت إليها الصغير ، الذى راح يصرخ محتجًا ، على انتزاعه من وسط لُعَبِهِ المتناثرة ، ولكن المربية قبَّلته على وجنته ، ووضعته داخل حجرة المكتب ، إلى جوار أمه ، ثم انسحبت فى هدوء ، وأغلقت الباب خلفها ..

وللحظات ، ظلَّت (سونيا) تتطلَّع إلى صغيرها فى صمت ، وهو يتطلَّع إليها فى حيرة ، ثم قالت فى لهجة تحمل شيئًا يسيرًا من العاطفة :

ـ لقد اقتربت اللحظة يا ولدى .

ولكن تلك اللمحة الإنسانية تلاشت بسرعة ، من صوتها وملامحها ، وهى تضيف :

ـ لحظة الانتقام .

جفل الصغير ، من ذلك التغيير المباغت ، وانفجر باكيًا ، ولكنها التقطته ، وضمَّته إلى صدرها ، وهى تقول فى صوت خافت :

ـ (منى) هذه هى الفتاة ، التى ترك والدك أمك من أجلها .. إنها تلك اللعينة ، التى أفسدت حياتى وحياتك ..

التى انتزعت منك والدك ، وجعلته ينبذ أسرته ، ويهرع إليها فى الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما فشلت فى مهمتها هناك ، وخسرت معركتها ، ووجدت نفسها سجينة ، تنتظر عقوبة طويلة ورادعة ، ربما استنفدت عمرها كله(*) .. إنها هنا الآن يا صغيرى .. وسط جيشى ، وفى قبضتى ، ولن تمضى ساعات قليلة ، حتى يكون والدك قد رحل عن دنيانا .. ومادامت تهوى اللحاق به دائمًا ، فسأرسلها خلفه إلى الجحيم ..

وأطل شر الدنيا كله من عينيها ، وهى تتابع :

ـ ولينعما ببعضهما هناك .

وانفجر الصغير باكيًا مرة أخرى ..

★ ★ ★

حدّق (ماثيو) فى وجه (برنارد) لحظة ، قبل أن يهتف فى حنق :

ـ مستحيل !.. ماتقوله يتجاوز حدود العقل والمنطق هذه المرة أيها القائد .

قال (برنارد) فى صرامة :

ـ نفذ الأوامر دون مناقشة يا (ماثيو) ..

قال (روكو) فى حدة :

(★) راجع قصة (الثعلب) .. المغامرة رقم (٨٦) .

ـ ولكنها أوامر متعسفة هذه المرة يا (برنارد) .. لقد فحصنا الأطلال المحترقة مرتين ، ولم نعثر على شىء ، فلماذا نرهق الرجال برفعها وإزاحتها ؟

وقال (فيدوك) فى عصبية :

ـ لقد أصابك وسواس اسمه (أميجو صاندو) .

صاح بهم (برنارد) :

ـ أأنتم أغبياء إلى هذا الحد ؟.. ألم تنتبهوا إلى حقيقة الموقف ؟.. إنكم لم تعثروا على شىء .. أى شىء .. وهذا يتضمّن الجثث المحترقة ، أو حتى الهياكل العظمية .. لا يوجد أدنى أثر ، فأين ذهبت جثث ذلك الشيطان ، والكهل ، والفتاة ؟.. هل تبخّرت أم ذهبت مع أرواحهم إلى الجحيم ؟!

انتبهوا فجأة إلى هذه الحقيقة البسيطة ، التى غابت عن أذهانهم ، مع لهفتهم للحصول على المكافأة السخيّة ، التى وعدهم بها (مايكل) ، فتبادلوا نظرة قلقة متوترة ، ثم انفصل عنهم (ماثيو) فجأة ، وصاح فى الرجال :

ـ ماذا تنتظرون ؟.. هيّا .. ارفعوا هذه الأنقاض ..

زمجر الرجال فى سخط وتبرّم ، ولكنهم أطاعوا الأمر ، وراحوا يرفعون الأنقاض ، فى حين سأل (روكو) (برنارد) فى توتر :

ـ ولكن أين يمكن أن يذهب ذلك الشيطان ؟.. لقد كنا

نحيط المزرعة من كل جانب ، ونمطرها بالرصاصات والقذائف من كل صوب !!

أجابه (برنارد) ، وهو يراقب الرجال فى توتر شديد :

ـ من يدرى ؟

لم يزد حرفًا واحدًا بعدها ، طوال الساعة التى استغرقها الرجال ، لرفع الأنقاض المحترقة ، حتى هتف أحدهم فى دهشة :

ـ هناك مدخل سرى ، إلى سرداب تحت سطح الأرض .

انتفض (برنارد) فى غضب ، فى حين هتف (روكو) :

ـ اللعنة .

واندفع الرجال الأربعة ، (برنارد) ، و (ماثيو) ، و (روكو) ، و (فيدوك) ، إلى حيث هتف الرجل ، وصرخ (ماثيو) فى حنق :

ـ هناك سرداب بالفعل .. يا للشيطان !.. لقد تركنا ذلك الرجل نطلق نيراننا ، فى حين كان هو يفر عبر ذلك السرداب .

وهتف (فيدوك) ساخطًا :

ـ من الواضح أنه يمتد إلى مسافة كبيرة ، فى اتجاه الشرق .. ولكن كيف أمكنه أن يحفر سردابًا مثله ، فى هذه الفترة القصيرة ؟!

أجابه أحد المكسيكيين :

ـ إنه سرداب فرار ، كان بعض أصحاب المزارع يصنعونه فى مزارعهم ، فى حقبة الاضطرابات والثورات ، ليؤمنوا لأنفسهم طريقًا للفرار ، إذا ما حاق بهم الخطر ، وهو يمتدّ عادة لخمسمائة متر أو يزيد ، فى اتجاه مستقيم .

أدار (برنارد) إليه عينين مشتعلتين بجمر الغضب ، وهو يقول هادرًا :

ـ ولم لم تقل هذا من قبل ؟

ثم التفت إلى قائد الهليوكوبتر ، صارخًا :

ـ (أنوريه) .. انطلق خلفهم .. انطلق إلى الشرق ، وانسفهم نسفًا .. هل تفهم .. انسفهم نسفًا .

وأقلعت الهليوكوبتر ..

وبدأ فصل جديد فى المطاردة ..

★ ★ ★

تلفتت (ماريانا) خلفها فى توتر بالغ ، وهى تجلس فى المقعد الخلفى ، فى سيارة والدها (الجيب) ، التى يقودها (أدهم) بأقصى سرعة ، فى اتجاه الشرق ، وقالت بصوت يحمل كل ما تموج به أعماقها من انفعالات :

ـ من الواضح أنهم لم ينتبهوا إلى ما فعلناه ، حتى هذه اللحظة .

غمغم (برونكو) :

ـ فليغمِ الله عيونهم عنا طويلًا :

ثم التفت إلى (أدهم) ، يسأله :

ـ ولكن كيف علمت أنهم سيهاجموننا اليوم يا سنيور ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يركز انتباهه على القيادة .

لم أعرف موعد الهجوم بالتحديد ، ولكننى أدركت أنهم يراقبوننا ، ويستعدون لمهاجمتنا فى أية لحظة ؛ فقد انعكست أشعة الشمس على المنظار المقرِّب ، الذى كان أحدهم يستخدمه للمراقبة ، فانتبهت إلى وجوده ، ولم يكن من الصعب استنتاج الباقى .

عادت (ماريانا) تلتفت خلفها ، وهى تقول :

ـ المهم ألا ينتبهوا بسرعة إلى أننا استخدمنا السرداب القديم للفرار ، وأننا كنا نضع السيارة عند مخرجه فى انتظارنا .

سألها (أدهم) ضاحكًا :

ـ ما الذى تتطلعين إليه يا (ماريانا) .. الظلام دامس خلفنا ، فما الذى تتوقعين رؤيته ؟

ارتبكت وهى تعتدل ، قائلة :

ـ لست أدرى .

تطلَّع إليها والدها مشفقًا ، وقال :



تلفَّتت (ماريانا) خلفها فى توتر بالغ ، وهى تجلس فى المقعد الخلفى ، فى سيارة والدها (الجيب) ...

- اهدئى يا بنيتى .. سنصل إلى المدينة خلال ربع الساعة ، وينتهى كل هذا .

نظر إليه (أدهم) بركن عينيه دون تعليق ، فقد كان يشك فى أن تحمل إليهم (كيواوا) ذلك الأمان ، الذى يحلم به (برونكو) ، ولكنه قال فى صوت هادئ :

- لا تبتئس لفقدانك مزرعتك يا (برونكو) .. سأعوضك ثمنها ؛ فلدى ثلاثة ملايين هنا ، فى بنوك (كيواوا) ، بالإضافة إلى الملايين السبعة الأخرى ، فى بنك (نيويورك) .

هتف (برونكو) :

- مزرعتى لا تساوى شيئًا أمام حياتك يا سنيور .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- إننى أدفع ثمن حياتى إذن .

ثم ناوله شيكين بنكيين ، وهو يستطرد :

- خذ يا (برونكو) .. هذا شيك بمليون دولار ، مقابل الإصلاحات التى تحتاج إليها المزرعة ؛ لإعادة البناء واستصلاح الأرض ، والشيك الآخر بربع مليون دولار ، أريد منك أن تصرفه كهدية منى لـ (ماريانا) .

هتفت (ماريانا) بصوت متهدّج :

- أوه .. لست أريد شيئًا من أموالك يا سنيور (أميجو) .. أنت تساوى عندى كل أموال الدنيا .

ابتسم فى مودّة ، وهو يقول :

- أعلم هذا يا (ماريانا) .. أعرف حقيقة مشاعرك نحوى بالتحديد .

تهدّج صوتها أكثر ، وارتجف وهى تقول :

- حقًا ؟!.. حقًا يا سنيور (أميجو) ؟!

اختلج قلبها مع ابتسامته الوسيمة ، التى بدت واضحة فى مرآة السيارة الداخلية ، وهو يقول :

- حقًا يا (ماريانا) .

خفق قلبها فى عنف ، وارتفع حاجباها فى حب وحنان ، ولكنه تابع بلهجة آمرة حازمة :

- والآن استمعا إلىّ جيدًا ، ونفذا ما أقوله بمنتهى الدقة ، ودون مناقشة أو اعتراض .. إنكما لن تذهبا إلى (كيواوا) .

ارتفع حاجبا (ماريانا) فى دهشة ، فى حين هتف (برونكو) :

- ماذا تعنى يا سنيور (أميجو) ؟

أجابه فى حزم :

- أعنى أن هؤلاء الأوغاد يعرفونكما الآن ، ولن

يسمحوا لكما بالبقاء آمنين ، بعد نجاحنا فى الفرار منهم ، وهذا يعنى أن (كيواوا) قد أصبحت آخر مكان آمن فى العالم ، بالنسبة لكما .. والشيكان اللذان تحملهما قابلان للصرف ، من أى بنك فى (المكسيك) كلها ، لذا فستتوقف على مشارف (كيواوا) ، حيث أنفصل أنا عنكما ، وتواصلان أنتما طريقكما ، عبر الطرق الرئيسية المباشرة ، إلى (توريون) ، وهناك تحصلان على النقود ، وتبتاعان سيارة أخرى ، تنطلقان بها إلى (مكسيكو سيتى) مباشرة .

سألته (ماريانا) ، وقلبها يرتجف :

ـ وهل .. هل ستلحق بنا هناك يا سنيور ؟

صمت لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ لست أعتقد هذا .

شهقت فى ارتياع ، ثم انخرطت فى بكاء حار ، وهى تقول :

ـ ولكن .. ولكننى ..

ولم تستطع إتمام عبارتها ، فخفت صوته ، وهو يقول :

ـ (ماريانا) .. أنا أحترم والدك ، وأحترمك كثيرًا ، وأحمل لكما تقديرًا خاصًا ، ولكن ..

صمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى حزم :

ـ هناك أخرى .

شهقت (ماريانا) مرة أخرى ، وهتفت فى مرارة لاحد لها :

ـ أخرى ؟!

لم تكد تنطقها ، حتى برزت تلك الهليوكوبتر فوقهم بغتة ، وغمرهم ضوء مصباح قوى فى قاعها ، وصرخ قائدها (أنوريه) فى ظفر ، عبر جهاز اللاسلكى :

ـ لقد عثرت عليهم .. عثرت عليهم يا (برنارد) .

تلقى (برنارد) الرسالة ، وهو ينطلق مع من تبقى من جيشه ، فى قافلة من السيارات ، فى اتجاه الشرق ، فصاح فى انفعال :

ـ وماذا تنتظر أيها الغبى ؟!.. افتح نيرانك عليهم .

ولم يكن (أنوريه) ينتظر هذا الهتاف ..

لقد ضغط زناد المدفعين الآليين ، المثبتين فى الهليوكوبتر ..

وانفتحت أبواب الجحيم مرة أخرى .

★ ★ ★



٣ ـ بلا هوادة ..

لم يكن (أدهم) يحمل سوى سلاح واحد ، عندما انقضت عليه الهليوكوبتر ..

بندقية (برونكو) القديمة ..

وحتى هذه البندقية ، كانت فى المقعد الخلفى ، إلى جوار (ماريانا) ..

وأطلق (أنوريه) رصاصات مدفعى الهليوكوبتر ..

وبحركة بارعة ، شديدة المهارة والإتقان ، انحرف (أدهم) جانبًا ، ودار حول نفسه ، فتجاوزته الهليوكوبتر بمتر أو يزيد ، وطاشت رصاصاتها كلها فى الهواء ، فصرخ (أنوريه) فى غضب :

ـ لن تنجح فى معابثتى طويلًا أيها الشيطان .

ودار بالهليوكوبتر عائدًا إليه ، ولكن (أدهم) التقط أداة ثقيلة ، من تلك التى تُستخدم لإصلاح المحرِّك وصيانته ، ثم ألقاها بكل قوته نحو الهليوكوبتر ، التى انخفضت لتهاجمه من جديد ..

وأصابت تلك الأداة ذلك المصباح القوى ، أسفل الهليوكوبتر ، فانفجر بدوىّ مكتوم ، فى نفس اللحظة التى أطفأ فيها (أدهم) مصباحى سيارته ، وانطلق بها وسط الظلام الدامس ، وسط الصحراء الجبلية ..

ولم يعد (أنوريه) يرى شيئًا ..

لقد ضاع بصره فى اللحظات الأولى ، مع اختفاء الأضواء المباغت ، فقال فى حدة :

ـ اللعنة .. هذا الرجل يعمل ويفكِّر بسرعة مدهشة .

واتسعت حدقتاه فى شدة ، وهو يحاول اختراق الظلام ببصره ، وإطلاق النار على (الجيب) ثانية ، ولكنها كانت ليلة بلا قمر ، والظلام دامس وثقيل ، و ...

وفجأة ، سمع هدير محرِّك السيارة تحته مباشرة ، وهو يطير على ارتفاع منخفض ، وفى اللحظة التالية ، شعر بثقل يضاف إلى وزن الهليوكوبتر ، فهتف فى عصبية :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟

ثم لمح السيارة وهى تنحرف يمينًا ، فاستعد لضغط زناد المدفعين ، عندما فوجئ بـ (أدهم) يثب داخل كابينة القيادة ، وهو يقول :

ـ مفاجأة !

شهق (أنوريه) فى ذعر ، من فرط المفاجأة ، وأدرك لحظتها فقط سرّ ذلك الثقل الإضافى ..

لقد خدعه (أدهم) ..

خدعه ، واستغلّ الظلام المباغت ، وطيران الهليوكوبتر على ارتفاع منخفض ، فدار بالسيارة ليعبر أسفلها ، ثم وثب يتعلّق بها ، ويترك القيادة لـ (برونكو) ..

أدرك (أنوريه) هذا لحظة واحدة، قبل أن يهوى (أدهم) على فكّه بلكمة كالقنبلة، قائلًا فى سخرية:

- معذرة لقدومى دون موعد سابق، ولكن...

وأتبع لكمته بأخرى فى أسنان (أنوريه) مباشرة، مستطردًا:

- إنها حالة طارئة.

دار رأس (أنوريه)، وترنّح فى قوة، ولكنه تشبّث بعصا القيادة، وحاول انتزاع مسدسه، وهو يهتف:

- الحالة الطارئة الوحيدة هى مقتلك.

ولكن (أدهم) أزاح المسدس بضربة ماهرة، ثم هشم أنف (أنوريه) بلكمة ثالثة، وهو يقول متهكمًا:

- حقًا.. ومتى يحدث هذا؟

اختلّ توازن (أنوريه) فعليًا هذه المرة، وانحرفت الهليوكوبتر إلى اليسار فى عنف، وانخفضت على نحو بالغ الخطورة، وهى تندفع نحو مرتفع صخرى قريب، فتابع (أدهم)، وهو يقفز خارجًا:

- ولكننى سأضطر للانصراف بسرعة.. الوداع.

وثب من الهليوكوبتر، من ارتفاع ثلاثة أمتار، وتدحرج لحظة فوق الأرض الرملية نصف الصلبة، فى حين حاول (أنوريه) استعادة سيطرته على الهليوكوبتر، والارتفاع



وانخفضت على نحو بالغ الخطورة، وهى تندفع نحو مرتفع صخرى قريب، فتابع (أدهم)، وهو يقفز خارجًا:
- ولكننى سأضطر للانصراف بسرعة..

بها بعيدًا عن المرتفع الصخرى ، ولكن مروحتها العلوية اصطدمت بالصخور فى عنف ، فدارت الهليوكوبتر حول نفسها ، وارتطم ذيلها بالصخور ، فتحطم فى عنف ، وهوت الطائرة أرضًا ، ثم انفجرت فى قوة ..

ومن بعيد ، لمح (برنارد) الانفجار ، وانتفض قلبه فى قوة وغضب ، وهو يقول :

ـ لقد فعلها ذلك الشيطان ثانية ..

ثم صرخ فى رجاله :

ـ أسرعوا .. أسرعوا أيها الأوغاد .. إننا لن نسمح لهذا الرجل بالسخرية منا إلى الأبد ..

أما (أدهم) ، فقد اعتدل واقفًا ، بعد أن انتهى الانفجار ، وعاد (برونكو) يضىء مصباحى السيارة ، وهو يندفع إليه ، قائلًا :

ـ سنيور (أميجو) .. أأنت بخير ؟!

أسرع (أدهم) يحتلّ مقعد القيادة ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله يا (برونكو) .. ولكن من الواضح أن الجولة الثانية ستبدأ مبكرًا ، أكثر مما كنا نتوقع .

ارتجف قلب (ماريانا) ، وقال (برونكو) فى قلق شديد :

ـ ماذا تعنى يا سنيور ؟

أجابه (أدهم) ، وهو ينطلق بالسيارة :

ـ أعنى أنهم فى أعقابنا يا رجل ، والوقت ينكمش بسرعة .

قالها وضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ، فراحت السيارة ترتجّ فى قوة ، وهى تنطلق فوق الأرض غير الممهّدة ، و (أدهم) يحاول قطع الكيلومترات المتبقية ، للوصول إلى المدينة ، قبل أن يلحق بهم (برنارد) ورجاله ، ولكن أضواء سيارات الجيش الصغير بدت من بعيد ، فهتفت (ماريانا) فى ارتياع :

ـ لقد ظهروا فى الأفق .

عقد (أدهم) حاجبيه فى شدة ، وهو يدرس الأمر بسرعة ..

لقد رأى تلك السيارة الحديثة ، التى يمتلكها ذلك الجيش ، ويعلم أنها أكثر قوة ومتانة من سيارة (برونكو) العتيقة ، وأن محركاتها القوية تمنحها قدرة إضافية ، على اللحاق بسيارته ، قبل أن يبلغ المدينة ..

وهذا يعنى أن يظفروا به ..

وبـ (ماريانا) و (برونكو) أيضًا ..

وحسم (أدهم) أمره فى سرعة ، وضغط فرامل السيارة فى حزم ، فهتف به (برونكو) مذعورًا :

ـ لماذا توقفت يا (سنيور) ؟
أجابه (أدهم) ، وهو يثب خارج السيارة :
ـ خذ مكانى .
انتقل (برونكو) بسرعة إلى مقعد القيادة دون مناقشة ، فى حين اتجه (أدهم) إلى مؤخرة السيارة ، وأخرج بندقية (برونكو) ، والصندوق الذى يحوى الزجاجات العشر الأخيرة من بخاخات المبيدات الحشرية ، المزودة بقنينة (النيتروجلسرين) ، فسألته (ماريانا) مرتجفة :
ـ ماذا ستفعل يا سنيور ؟
أجاب فى صرامة ، وهو يحشو جيوبه بالرصاصات :
ـ بالنسبة لكما سيمضى كل شىء كما اتفقنا ، ودون تعديل ، اللهم إلا أننا سنفترق هنا ، وليس على مشارف المدينة .
شهقت (ماريانا) ، وهتف (برونكو) :
ـ سنيور .. لن يمكننا أن ...
قاطعه (أدهم) :
ـ لايوجد وقت لمناقشة هذا يا (برونكو) .. ارحل بسرعة ، قبل أن يلحق بك هؤلاء الأوغاد ، واستخدم الضوء الخافت فحسب ، وتجنب الطرق المباشرة ، حتى تبلغ طريق (كيواوا) الرئيسى .

هتفت (ماريانا) :
ـ وهل ستبقى وحدك ؟
منحها ابتسامة هادئة ، وهو يقول :
ـ اطمئنى .. إننى أجيد التعامل مع أمثال هؤلاء الأوغاد .
بكت ، وهى تقول :
ـ ولكننى ...
قاطعها بسرعة :
ـ أعلم هذا يا (ماريانا) .. أعلم هذا .
ثم صاح فى (برونكو) :
ـ ماذا تنتظر يا رجل ؟.. هيا .. انطلق .
قال (برونكو) فى أسى ، وهو يطيعه ، ويضغط دواسة الوقود :
ـ إلى اللقاء يا سنيور .. أدعو الله أن نراك ثانية .
ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
ـ من يدرى يا (برونكو) ؟.. ربما أنقذتما حياتى مرة ثالثة .. لقد اعتدت هذا .
انخرطت (ماريانا) فى بكاء حار ، والسيارة تنطلق مبتعدة ، وظلت تلوح بيدها مودعة (أدهم) ، الذى حمل الأشياء بسرعة ، وبدأ عمله ..
كان يعلم أن (برنارد) وجيشه سيصلون ، خلال ثلاث

أو أربع دقائق على الأكثر ، فراح يعمل بهمة ونشاط ، ليعدّ أرض المعركة قبل وصولهم ، فوضع ثلاث زجاجات على الطريق ، ثم وزّع السبع الأخريات على نحو مدروس ، وبعدها حمل بندقية (برونكو) القديمة ، وراح يتسلق أوّل مرتفع جبلي صادفه ، ثم جلس فى مكمنه ، يراقب الطريق فى انتباه ..

ولم تمض لحظات قصار ، بعد أن انتهى من عمله ، حتى لاحت السيارات ، وهى تقترب فى سرعة ، ورأى (أدهم) أضواء مصابيحها ، وأحصاها بسرعة ، ثم غمغم :

ـ خمس عشرة سيارة .. لو افترضنا وجود أربعة رجال على الأقل فى كل سيارة ، يكون الحد الأدنى الذى ينبغى أن أقاتله ، هو ستون رجلًا .

ثم تنهّد ، وهو يبتسم مستطردًا :

ـ عجبًا !.. لماذا يبدو وكأن الجميع ضدك هذه المرة يا (أدهم) ؟

قالها وعاد يراقب السيارات ، التى اقتربت فى سرعة ، وبدا صوت (برنارد) واضحًا ، وهو يقول فى عصبية :

ـ نعم ..سنزيد سرعة السيارات ، حتى لو أفرغتم جميعًا ما بجوفكم ، من شدة الارتجاج ؛ فذلك الشيطان لن يدخر وسعًا فى الفرار ، وأنا مصرّ على عدم منحه فرصة للهرب هذه المرة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتطمت واحدة من سيارات القافلة ، بزجاجة من الزجاجات التى وضعها (أدهم) على الطريق ، فارتجّ (النيتروجلسرين) فى قوة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار مباغت عنيف ، أطاح بالسيارة ومن فيها على الفور ، فصرخ (برنارد) :

ـ توقّفوا .. توقّفوا .

ومع صيحته ، ارتطمت سيارة أخرى بالزجاجة الثانية ..

ودوى انفجار ثان ..

وفى نفس اللحظة ، وعلى وهج النيران ، وقع بصر (أدهم) على الزجاجة الثالثة ، فأطلق رصاصة نحوها ..

وكان الانفجار الثالث ..

وصرخ (برنارد) :

ـ غادروا السيارات .. انتشروا فى المنطقة بسرعة .

قفز الرجال خارج سياراتهم ، وأسرعوا يختبئون فى منطقة التلال المجاورة ، وكل منهم يدير عينيه فيما حوله ، محاولًا اختراق الظلام ، ومعرفة الجهة التى انطلقت منها رصاصة (أدهم) ، ومال (روكو) على (برنارد) ، قائلًا فى عصبية :

- هذا الشيطان فعلها ثانية .. لقد فقدنا ما يقرب من ستين رجلًا حتى الآن ، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الجروح والإصابات .

غمغم (برنارد) فى سخط :

- إنه يباغتنا فى كل مرة ، ولكنه أخطأ بهجومه هذا ، فقد عرفنا منه أنه هنا ، ويمكننا أن نحاصره ، ونقضى عليه نهائيًا .

قال (ماثيو) فى حدة :

- ما أسهل القول .

قال (برنارد) :

- والعقل السليم يحوّل القول إلى الفعل .. دعونا ندرس الأمر جيدًا ، حتى نقطع على ذلك الشيطان خط الرجعة .. سنشعل كل مصابيح السيارات ، فتضىء المكان كله ، ويصبح من المستحيل عليه أن يتحرّك ، أو يطلق النار ، دون أن يكشف موقعه .

قال (فيدوك) بعصبية :

- وماذا بعد أن يكشف موقعه ؟!

فرقع (برنارد) سبّابته وإبهامه ، وهو يقول :

- نقتنصه .

هتف (ماثيو) فى لهجة عصبية ساخرة :

- حقًا ؟!.. يا للبساطة !

عقد (برنارد) حاجبيه ، وقال :

- إنه لن ينجح فى كل مرة .

ثم أشار إلى عدد من الرجال ، فتسلّل كل منهم إلى واحدة من السيارات الخمس عشرة ، وهتف (برنارد) فى توتر :

- الآن .

ومع آخر حروف كلمته ، أضيئت مصابيح السيارات كلها فى آن واحد ، وغمر الضوء المكان ..

ولكن مع مفاجأة غير متوقعة ..

لقد أطلق (أدهم) رصاصاته ، فور اشتعال الأضواء ، التى كشفت له مواضع الزجاجات السبع الأخرى ..

ودوت الانفجارات مرة رابعة ، وخامسة ، وسادسة ..

وصرخ (روكو) :

- اللعنة !.. إننا نلعب لحسابه .

ودوى انفجار سابع ، وثامن ، فصاح (برنارد) ، وقد أورثه الغضب جنونًا لا حد له ، وثورة طاغية :

- إننا نعرف أين هو الآن يا رجال .. أطلقوا عليه صواريخكم وقذائفكم .

صرخ (ماثيو) :

- وأطفئوا هذه الأضواء اللعينة .

ومع آخر حروف كلماته ، انفجرت زجاجة ناسفة ، فأسرع الرجال يطفئون مصابيح السيارات ، ثم اشتركوا مع زملائهم فى إطلاق الصواريخ نحو تلك البقعة ، التى يطلق منها (أدهم) رصاصاته ..

ودوت الانفجارات فى عنف ، واستحال الليل مرة أخرى إلى بقعة من الجحيم ، لها دوى رهيب متوال ، وراحت الصخور المنفجرة تتطاير فى كل الاتجاهات ، حتى صرخ (برنارد) :

ـ هجوم .

اندفع الجميع يتسلّقون المرتفع الصخرى ، وهم يطلقون رصاصات مدافعهم الآلية فى غزارة ، وخلفهم (برنارد) ومعاونوه الثلاثة ، و (ماثيو) يهتف :

ـ لا تدخروا ذخيرة .. امنحوه كل ما لديكم .

كانوا يتوقعون مقاومة شرسة من (أدهم) ، لو أنه ما يزال على قيد الحياة ، فى قلب الجحيم الذى صنعوه ، إلا أن رصاصة واحدة لم تنطلق نحوهم ، فهتف (روكو) :

ـ أراهن أنه لقى مصرعه .

ولكن (فيدوك) صاح به :

ـ لقد سمعت هذا القول .. دعنا نر جثته أوّلًا يا رجل ، وإلا فلن أصدّق أبدًا أنه ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار عنيف من خلفهم ، فتوقف الجميع دفعة واحدة ، واستداروا فى سرعة إلى مصدره ، وصرخ (برنارد) فى ثورة :

ـ لا .. مستحيل !

كانت قنبلة قد أطاحت بإحدى سياراتهم ، ثم امتدّت النيران فى سرعة ، فوق بحيرة من الوقود ، الذى سكبه أدهم من سياراتهم الأخرى ، التى انتقلت إليها النيران ، فاشتعلت كلها فى آن واحد تقريبًا ..

كلها فيما عدا سيارة واحدة ..

تلك التى اقتنصها (أدهم) ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية مستفزة ، جعلت (روكو) يصرخ :

ـ لا .. لقد خدعنا مرة أخرى ، ودار حول المرتفع ..

وهتف (ماثيو) فى غضب :

ـ ودمّر سياراتنا .

أما (برنارد) ، فقد أطبق شفتيه تمامًا ، والغيظ يكاد يشلّ أطرافه ، ويوقف قلبه الغاضب الحانق ، وهو يتابع سيارة (أدهم) ، التى تبتعد فى سرعة ، معلنة فوزه فى جولة جديدة من الصراع ..

الصراع الوحشى .

* * *

٤ ـ المدينـــة ..

« (كيواوا) أيها السادة .. محطتنا الأخيرة .. »

استيقظت (منى) بانتفاضة ، مع عبارة السائق ، وهو يوقف الحافلة فى محطة حافلات (كيواوا) ، واعتدلت بسرعة على مقعدها ، وهى تمرّر أصابعها على شعرها فى عصبية ، وقد أدهشها أن تستغرق فى مثل هذا النوم العميق ، طوال الرحلة ، من (مكسيكو سيتى) إلى (كيواوا) ، والتفتت إليها سيّدة عجوز ، تشاركها مقعدها المزدوج ، وابتسمت فى حنان ، وهى تقول :

ـ لماذا القلق يا بنيتى ؟!.. لقد وصلنا بالفعل ، وكانت رحلة هادئة للغاية .

حاولت (منى) أن تبتسم مجاملة ، وهى تقول :

ـ إنما هو حلم مزعج .. أعتقد أننى استغرقت فى النوم بعض الوقت .

قالت العجوز فى إشفاق :

ـ لقد غرقت فى النوم ، منذ اللحظات الأولى يا بنيتى .

ابتسمت (منى) فى ارتباك ، دون أن تعقّب ، فتابعت العجوز فى فضول :

ـ أهى أوّل زيارة لك إلى (كيواوا) ؟

أومأت (منى) برأسها إيجابًا ، فتطلّعت إليها العجوز فى حيرة ، وهى تقول :

ـ عجبًا !.. إنك أوّل سائحة تهرع من المطار إلى هنا مباشرة !.. الواقع أن (كيواوا) ليست مزارًا سياحيًا ، ويدهشنى أن تجذب اهتمامك .

قالت (منى) فى اقتضاب :

ـ لى صديق قديم هنا .

سألتها العجوز فى لهفة وفضول :

ـ من هو ؟

كانت هذه الأسئلة المتتالية تزعج (منى) ، وتزيد من توتّرها وانفعالها ، فنهضت لتغادر الحافلة ، وهى تقول :

ـ سنيور (أميجو صاندو) .

هتفت العجوز :

ـ آه .. سنيور (صاندو) .. إنه واحد من أشهر الأثرياء فى (كيواوا) .. من ذا الذى يجهله .. إنه شاب مهذب رصين ، دائم الابتسامة ، يعامل الجميع بلطف وأدب .. إن ابنى يعمل فى مزرعته .. اسمه (ماريو) .. هل تعرفينه ؟

هزّت (منى) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ لم أذهب إلى هناك قط .

والتقطت حقيبتها ، ثم أضافت فى سرعة :

- سعدت بلقائك يا سيدتى .. الوداع .

قالتها وابتعدت فى خطوات سريعة ، متجهة نحو موقف السيارات العام ، لتنجو من ذلك السيل الفضولى من الأسئلة ، وفى الموقف ، بحثت عن السيارة التى تحمل الرقم (١٠٠،٣٢١) ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة ، عندما وجدتها سيارة رياضية حمراء أنيقة ، وغمغمت :

- لقد أحسن الزملاء الاختيار حقًا .

وضعت حقيبتها فى مؤخرة السيارة ، وألقت نظرة سريعة على الحقيبة الأخرى ، التى تستقر هناك ، ثم اتخذت مقعد القيادة ، وأدارت المحرّك ، وانطلقت بالسيارة الأنيقة فى شوارع المدينة ، حتى بلغت فندقها الوحيد ، حيث استقبلها موظفوه فى حرارة وترحاب ، وهم يختلسون النظر إلى سيارتها الأنيقة ، ومنحوها جناحًا فاخرًا فى الطابق الخامس ، أوصلها إليه رئيس الخدم بنفسه ، ولم تنس هى منحه بقشيشًا سخيًا ، جعله يلهج بالثناء ، وهو يتراجع منحنيًا عشرات المرات ، قبل أن يغادر الحجرة ..

ولم تكد هى تغلق الباب من الداخل ، حتى أطلقت زفرة قوية ، وتركت جسدها يهوى فوق أقرب مقعد إليها ، وهى تقول :

- هأنذا فى (كيواوا) يا (أدهم) .. والآن كيف أجدك بالله عليك .

استرخت فوق المقعد ، وهى تدرس الأمر ، وتحاول ترتيب نقاط البحث فى ذهنها ، شاردة البصر ، و ...

وفجأة ، انتبهت إلى أمر ما ، جعلها تعتدل فى حركة حادة ، ثم تهبّ من مقعدها ..

كانت هناك حقيبة صغيرة سوداء ، موضوعة إلى جوار الفراش الكبير فى منتصف الحجرة ، على نحو يوحى بأنها جاءت مع حقيبتها هى ..

وتمتمت (منى) ، وهى تسرع إلى الحقيبة الصغيرة :

- ما هذا بالضبط ؟.. هل أخطأ رئيس الخدم ، أم ...؟

بترت عبارتها بغتة ، بعد أن كانت قد التقطت الحقيبة بالفعل ، عندما قفز إلى ذهنها خاطر مثير للقلق ..

- ماذا لو أنها تحوى قنبلة ؟..

وفى حذر ، أعادت الحقيبة إلى موضعها ، وتراجعت خطوة ، وهى تتطلّع إليها فى شك ، ثم التقطت سمّاعة الهاتف المجاور للفراش ، وقالت لموظف الاستقبال :

- يبدو أن رئيس الخدم قد ارتكب خطأً ما ، فهناك حقيبة إضافية فى حجرتى ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، ارتفعت طرقات عنيفة على باب

الحجرة ، فألقت سماعة الهاتف ، واستلت من حزامها مسدسًا صغيرًا من البلاستيك القوى ، وهى تقول فى توتر :
ـ من الطارق ؟
أتاها صوت خشن جاف ، يقول فى صرامة :
ـ المفتش (جوزيه) .. رئيس الشرطة فى (كيواوا) .
ازداد انعقاد حاجبيها فى شدة ، وهى تقول :
ـ وماذا تريد يا رئيس الشرطة ؟
أجابها بنفس الخشونة :
ـ تفتيش روتينى .
أعادت المسدس إلى حزامها ، وعدّلت ثوبها ، ثم فتحت الباب ، ورأت أمامها المفتش (جوزيه) بابتسامته الصفراء الباردة ، وهو يقول :
ـ سنيوريتا (ليلى) .. أليس كذلك ؟
لاحظت (منى) وجود خمسة من رجال الشرطة خلفه ، يحملون المدافع الآلية ، وتطلّ من عيونهم نظرات متحفزة حذرة ، فقالت :
ـ بلى .. هل اعتدتم فى (كيواوا) إزعاج السائحين ، بعد دقائق من وصولهم إلى مدينتكم ؟
تجاهل (جوزيه) عبارتها تمامًا ، وهو يدلف إلى الحجرة ، ويدير عينيه فيها ، ثم استقر بصره على الحقيبة



وفجأة ، انتبهت إلى أمر ما ، جعلها تعتدل فى حركة حادة ، ثم تهبّ من مقعدها ..

السوداء الصغيرة ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء ماكرة ، وهو يقول :

ـ ليست فى كل الأحوال ، ولكن لدينا بلاغ بالغ الخطورة ، يحتاج إلى تحقيق فورى .

بدأت تشعر بالقلق ، مع نظرته إلى الحقيبة ، ولكنها تظاهرت باللامبالاة ، وهى تقول :

ـ فليكن .. اسمح لى أولًا أن أتم حديثى مع موظف الاستقبال ، فقد كنت أتحدث إليه ، ليرسل خادمًا ، لاستعادة حقيبة وضعت فى حجرتى بطريق الخطأ .

ولكنه التقط سماعة الهاتف من الفراش ، وأعادها إلى موضعها ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!.. وما الذى تحويه هذه الحقيبة الخطأ ؟

ومدّ يده يحمل الحقيبة السوداء الصغيرة ، فقالت (منى) ساخرة :

ـ ولماذا تصوّرت أن هذه هى الحقيبة الخطأ ؟.. هناك أخرى .

مرة ثانية ، تجاهل عبارتها تمامًا ، وهو يضع الحقيبة على الفراش ، ويفتحها ..

واستجاب له رتاج الحقيبة فى بساطة ..

وانعقد حاجبا (منى) فى شدة ..

كانت الحقيبة تحوى عدة أكياس صغيرة ، فى كل منها مسحوق أبيض ، أدركت (منى) ماهيته على الفور ، قبل حتى أن يلتقط (جوزيه) أحد الأكياس ، ويفتحه ، ثم يتذوق المسحوق بطرف لسانه ، ويقول بابتسامة ظافرة :

ـ هيروين .

قالت (منى) فى حدة :

ـ إنها ليست حقيبتى .. لقد أخبرتك هذا الآن .

أغلق الحقيبة مرة ثانية ، وناولها لأحد رجاله ، وهو يقول فى غلظة :

ـ لم أسمعك تقولين هذا .

ثم التفت إلى رجاله الخمسة ، وقال :

ـ هل سمعها أحدكم يا رجال ؟

انطلقوا بغتة بهدير واحد :

ـ مطلقًا .

وكانت (منى) تعلم أن هذا ما سينطقون به ..

لقد فهمت الأمر كله على الفور ..

إنه فخ ..

فخ أعدّه لها شخص ما ، يعرف هويتها ، ويتعقّبها منذ وصلت إلى (المكسيك) ..

وبلهجة ظافرة شامتة ، قال (جوزيه) :

- مما يؤسف له أن ترتكبى جريمة كهذه يا سنيوريتا ، إننا نعدم مهربى ومروّجى المخدرات هنا .

وعاد يلتفت إلى الرجال ، قائلًا فى صرامة :

- ألقوا القبض عليها .

ولكن (منى) لم تكن مستعدة لهذا ..

لقد ذاقت السجن مرة فى (أمريكا) ، وهى لا تنوى تكرار هذه التجربة القاسية مرة أخرى ..(*)

لذا فقد تحرّكت (منى) ..

لقد استغلت التفاتة (جوزيه) إلى رجاله ، واستلّت مسدسها الصغير ، ثم وثبت نحو هذا الأخير ، وطوّقت عنقه بذراعها ، ثم ألصقت فوهة مسدسها بصدغه ، وهى تقول :

- ليس الأمر بالسهولة التى تتصوّرها يا صاح .

توتر الرجال الخمسة فى شدة ، فى حين هتف (جوزيه) فى دهشة وذعر :

- سنيوريتا .. هل تدركين ما تفعلين ؟

وكانت تدرك بالفعل ..

تدرك أنها ، بهذا الموقف ، قد فتحت على نفسها أبوابًا يصعب إغلاقها ..

أبواب الجحيم ..

★ ★ ★

(★) راجع قصة (الثعلب) .. المغامرة رقم (٨٦) .

لم يعد هناك مجال للتراجع ..

وعندما تقدم على حماقة ، لا سبيل للتراجع عنها ، امض فيها حتى النهاية ..

هكذا كان يقول زميلها وأستاذها (أدهم صبرى) دائمًا ..

وفى عصبية شديدة ، قال (جوزيه) :

- هل تعرفين عقوبة مقاومة رجال الشرطة ؟

أجابته فى سخرية ، وهى تجذب إبرة المسدس :

- إنها لن تتجاوز الإعدام ، بأى حال من الأحوال .

بدأ رجاله يلتفون حولها فى حذر ، فاعتصرت عنقه بذراعها أكثر ، وهى تقول :

- مُر هؤلاء الأغبياء بالبقاء فى أماكنهم ، وإلقاء هذه الألعاب التى يحملونها . وإلا أضفت إلى التهم تهمة نسف جمجمة رئيس شرطة غبى .

صرخ (جوزيه) فى رجاله بصوت مختنق :

- هل سمعتم أيها الحمقى ؟.. هيا .. ألقوا أسلحتكم وتراجعوا .

لم يرق هذا للرجال ، ولكنهم أطاعوه ، وألقوا أسلحتهم ، ثم تراجعوا خطوة واحدة فى تراخ ، و (جوزيه) يقول :

- لا تتورّطى فى الأمر أكثر يا سنيوريتا .. أطلقى سراحى ، وسأنسى كل ما حدث ، و ...

قاطعته ساخرة :

ـ وتكتفى بإعدامى .

لوَّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ لا .. لا .. لن يكون هناك إعدام ، أو شيء من هذا القبيل .. إنك تقولين : إنها ليست حقيبتك ، وأنا أصدِّقك .. سنبحث عن صاحبها ، وينتهى الأمر .

هتفت متهكمة :

ـ يا له من حل بسيط !.. كم أشكرك أيها المفتش .. كيف كنت سأجد مخرجًا رائعًا هكذا بدونك ؟!..

ثم أضافت فى صرامة مباغتة :

ـ والآن يا رئيس الأغبياء .. لقد سئمت هذا العبث الصبيانى ، والسخافات الغبية ، التى تسقط من بين شفتيك ، كلما فتحت فمك .. هيا .. سنغادر هذه الحجرة فى هدوء ، وتصحبنى إلى حيث سيارتى ، فنفترق كأى صديقين قديمين ، وتعود أنت إلى رجالك الأغبياء .. أقصد الأوفياء ، فى حين أنصرف أنا فى بساطة .. ما رأيك ؟

قال بصوت متحشرج :

ـ لن يمكنك الفرار من (كيواوا) بهذه البساطة .

رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة ، وهى تقول :

ـ هكذا ؟!.. لم يعد لدى خيار إذن .

ثم أضافت فى خشونة :

ـ سأنسف رأسك ، وينتهى الأمر .

هتف :

ـ لا .. لا يا سنيوريتا .. لا .

ثم أمسك صدره ، وهو يستطرد فى ألم :

ـ آه .. صدرى .. قلبى المريض لم يحتمل .. إننى أموت .. أموت يا سنيوريتا .

حدَّق رجاله فى وجهه بتوتر شديد ، وشعرت (منى) بجسده كله ينتفض فى قوة ، وهو يُطلق تأوهات متقطعة مكتومة ، وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة بالفعل ، فخففت ضغط ذراعها على عنقه ، وأزاحت المسدس قليلًا عن صدغه .. وفجأة ، استعاد (جوزيه) كل حيويته ونشاطه ، وهو ينزلق فى خفة ، ليفلت من قبضتها ، هاتفًا برجاله الخمسة :

ـ إنها لكم يا رجال .

ولم ينتظر الرجال لحظة واحدة ..

بل لقد بدءوا انقضاضهم عليها بالفعل ، قبل أن ينتهى هتافه ، فتراجعت (منى) فى سرعة ، وأطلقت رصاصات مسدسها نحوهم ، فأصابت أحدهم فى مقتل ، ونجحت فى

جرح الثانى، ثم ألقت المسدس الصغير فى وجه الرابع، وهى تهتف:

- أيها الأوغاد ..

ولكن الثالث قيّدها بذراعيه فى قوة، وانقضّ عليها الرابع، يجذبها من شعرها فى قسوة، هاتفًا:

- إنك تستحقين القتل ..

- ووضع الخامس القول موضع التنفيذ بالفعل، فالتقط مسدسها الصغير، وألصقه بجبهتها، قائلًا فى شراسة:

- وبمسدسك .

صاح (جوزيه):

- افعلها يا رجل .. لقد قاومت رجال الشرطة، ولقيت مصرعها فى أثناء محاولتها الفرار .. اقتلها ..

وارتجف جسد (منى) كله، وهى تكرّر صرختها:

- أيها الأوغاد .

لم يكن بينها وبين الموت سوى شعرة واحدة ..

يضغط الشرطى على الزناد ..

وينتهى كل شىء ..

نعم .. حركة واحدة، كانت تعنى نهاية حياة ..

حياة (منى) ..

* * *

٥ ـ القتلـة ..

لوّح الحاكم (خوان) بذراعه فى عصبية شديدة، وهو يواجه (مايكل) فى مكتبه، قائلًا:

- لا يا سنيور (مايكل) .. لقد تجاوز الأمر حدوده بشدة، حتى أننى أخشى أن يبلغ السلطات فى العاصمة .. أنت خدعتنى يا سنيور (مايكل) .. قلت لى: إنها مجرّد خلافات بين السنيورا (نورما) والسنيور (أميجو)، ولكنك ورجالك تشنون حربًا فى (كيواوا) .. حربًا لم نشهد مثلها، منذ أيام الثوّار، فى أوائل القرن .

قال (مايكل) فى سخرية:

- هل كنت تتصوّر أن السنيورا ستدفع نصف مليون دولار، حتى تسمحوا لها بتوجيه السباب لزوجها السابق .

هتف الحاكم:

- فلتقتله، لو أن هذا يحلو لها، ولكن بدون هذا الضجيج، الذى أيقظ سكان (كيواوا) كلهم ليلة أمس .. إنكم تصنعون ما لا يمكن السكوت عليه يا سنيور (مايكل) .

بدا الغضب على وجه (مايكل)، وهو يقول:

- ولكننا ندفع الثمن .

قال الحاكم فى حدة:

ـ هناك أمور لايمكن أن يكتمها المال أو يخفيها يا سنيور (مايكل).. لقد أصبح رجالك يشكلون تهديدًا للأمن العام فى (كيواوا)، ولو لم نتخذ الإجراءات القانونية ضدهم، سيهرع بعض ممثلى الشعب إلى السلطات العليا فى العاصمة، وتكون كارثة.

ابتسم (مايكل) فى ثقة، وهو يقول:

ـ اطمئن.. كل ممثلى الشعب سيغمضون عيونهم، حتى ينتهى هذا الأمر.

قال الحاكم فى توتر:

ـ ومتى ينتهى؟.. لقد صنعتم جيشًا صغيرًا، وأشعلتم الجحيم طوال ليلة كاملة، ولم تنجحوا بعد فى القضاء على رجل واحد.

ضرب (مايكل) مسند مقعده بقبضته فى قوة، وهو يقول:

ـ ولكننا سننجح.

هتف الحاكم:

ـ متى؟!

التقط (مايكل) نفسًا عميقًا، وانعقد حاجباه فى شدة، قبل أن يقول:

ـ خلال يومين فحسب.

قال الحاكم فى عصبية:

ـ لايمكننا الانتظار حتى...

قاطعه (مايكل) فى صرامة:

ـ قلت يومين.. هذه كلمتنا الأخيرة.. ثمان وأربعين ساعة، تحسم خلالها الأمر تمامًا، و...

وامتزجت صرامته بمقت شديد، وشراسة واضحة، وهو يضيف:

ـ ونمحو اسم (أميجو صاندو) من سجل الأحياء... نهائيًا.

★ ★ ★

قاومت (منى) فى شراسة، والشرطى الضخم يلصق فوهة مسدسها الصغير بصدغها، وهو يبتسم فى وحشية شامتة، ويقول:

ـ أبلغى تحياتى لكل السائحين الأغبياء فى الجحيم.

ودوى الطلق النارى...

وأغمضت (منى) عينيها فى قوة، وجسدها كله ينتفض، وأدهشها ألا تسبب لها الرصاصة أى ألم، وهى تخترق جمجمتها، ولكنها شعرت بالمسدس يرتجف فى يد الشرطى، الذى تشبث بها لحظة، ثم هوى جثة هامدة، مع صوت صارم، يقول خلفها:



ولكنها شعرت بالمسدس يرتجف فى يد الشرطى ، الذى تشبث بها لحظة ، ثم هوى جثة هامدة ..

ـ أبلغهم بنفسك أيها الوغد ، فستصل إلى الجحيم قبلها .

صرخت فى فرح جنونى :

ـ (أدهم) :

ومع صرختها ، انقضّ (أدهم صبرى) ..

وتلقَّى الشرطى الأوّل لكمة كالقنبلة ، هشمت أنفه ، وسنتين من أسنانه الأمامية ، فى حين شعر الشرطى الثانى وكأن القنبلة قد انفجرت فى معدته ، ثم وثبت بين قدميه ، وعادت ترتفع إلى فكه ، وتلقيه فاقد الوعى ، وتراجع الشرطى الأخير ، محاولاً استعادة مدفعه الآلى الملقى أرضًا ، ولكن ركلة عنيفة أصابت مؤخرته ، وضربت رأسه بالحائط ، قبل أن تهوى صاعقة على مؤخرة عنقه ، وتسقطه إلى جوار زملائه ..

وتحرّك (جوزيه) ، محاولاً التقاط مسدسه ، ولكنه وجد (أدهم) أمامه مباشرة ، يتطلّع إلى عينيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ هيّا .. اسحب مسدسك يا (جوزيه) .. امنحنى المبرّر المنطقى لتمزيقك إربًا ، وإلقاء جثتك لكلاب الشوارع ..

ولو أن (جوزيه) فى موقف آخر ، لسحب مسدسه فى سرعة ، وأطلق النار ، مثلما كان يفعل فى الماضى ، ولكنه كان يعرف (أدهم) جيدًا ، منذ أيام (كال) ، عندما تعامل

معه للمرة الأولى ، ورأى كيف يعمل ويقاتل ، وكيف يمكنه تنفيذ وعيده هذا بسهولة خرافية ، تتجمّد لها الدماء ، فى عروق أشجع الشجعان(*) ..

ثم إنه رأى ما حدث بنفسه ..

رأى (أدهم) يثب عبر النافذة ، من الخارج إلى الداخل ، وهو يطلق رصاصة من مسدسه ، استقرّت فى جبهة الشرطى ، الذى يصوّب المسدس إلى (منى) ، فيرديه قتيلًا ، قبل أن تستقر قدماه على أرض الحجرة ..

ولكل هذا ، ألقى (جوزيه) مسدسه أرضًا ، وهو يرتجف قائلًا :

ـ سنيور (أميجو) .. مستحيل .. لقد قالوا : إنك ... إنك لقيت مصرعك !..

أمسكه (أدهم) من سترته فى قسوة ، وهو يقول :

ـ من هم يا (جوزيه) ؟.. من هم الذين قالوا هذا ؟

ارتجف (جوزيه) أكثر ، فى حين هتفت (منى) فى سعادة ، وهى تتعلّق بذراع (أدهم) :

ـ (أدهم) .. إنك حىّ .. حمدًا لله .

تطلّع (أدهم) إليها فى هدوء ، وبدا لها صوته صارمًا ، يحمل شيئًا من الغضب ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الأخطبوط) .. المغامرة رقم (٨٢) .

مرحبًا بك فى قلب الجحيم يا عزيزتى .. يخيّل إلىّ أنك قد انتقيت أسوأ أيام العام لزيارتى هنا .

تراجعت فى دهشة ، لهذا الأسلوب فى لقائه بها ، فى حين عاد هو يجذب (جوزيه) فى قسوة ، قائلًا :

ـ أخبرنى يا (جوزيه) .. من أخبرك أننى لقيت مصرعى ؟

هتف (جوزيه) ، وهو يلوّح بذراعيه فى ذعر :

ـ الجميع .. الجميع يرددون هذا يا سنيور (أميجو) .. الجميع .

حملت عينا (أدهم) صرامة لاحدّ لها ، وهو يسأله :

ـ كم دفعوا لك يا (جوزيه) .

ارتعد الرجل ، وهو يقول :

ـ سنيور (أميجو) .. هل تظن أننى ..

قاطعه (أدهم) بلكمة عنيفة فى معدته ، انثنى لها الرجل ، وتأوّه فى ألم ، و (أدهم) يقول بلهجة أكثر حزمًا وصرامة :

ـ كم يا (جوزيه) ؟

كاد (جوزيه) يبكى ، وهو يمسك معدته بذراعيه ، ويهتف :

ـ مائة ألف .. مائة ألف دولار أمريكى يا سنيور .

سأله (أدهم) :

- ومن دفعها لك ؟

أجابه (جوزيه) فى ارتياع :

- (مايكل) .. أمريكى يدعى (مايكل) ، ويقيم هنا فى الفندق ، فى الجناح رقم سبعة .. أقسم لك إننى أقول الحقيقة .

سأله (أدهم) ، وهو يضغط أصابعه فى كتفه بقوة :

- وما الذى يريده منى (مايكل) هذا ؟

تأوَّه (جوزيه) فى ألم ، وهو يقول :

- يقول : إن السنيورا (نورما) قد أرسلته ؛ لتصفية بعض حساباتها معك .

انتفضت كل عضلة فى جسد (منى) ، وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، حتى أن (جوزيه) أخفى وجهه بذراعيه ، وهو يصرخ :

- أقسم لك إنها الحقيقة .. هذا ما قاله السنيور (مايكل) .. أقسم لك .

هتفت (منى) :

- إذن فهى (سونيا) .

أجاب (أدهم) فى غضب مخيف :

- نعم .. هى (سونيا) .

ارتفع فجأة صوت عصبى ، يقول :

- وأنا (برنارد) .

أدار (أدهم) و (منى) عيونهما فى سرعة ، إلى باب الحجرة ، ووقع بصرهما على (برنارد) ، الذى يصوِّب إليهما مدفعه الآلىّ ، وخلفه عشرة من رجاله ، يحملون المدافع الآلية ، وهو يستطرد فى ظفر وشماتة :

- أخيرًا ياسنيور (أميجو) ، حانت لحظة إسدال الستار .

وضغط زناد مدفعه ، مضيفًا :

- الوداع .. الوداع ياسنيور (أميجو) .

وانطلقت الرصاصات القاتلة ..

★ ★ ★

ارتجَّ جسد (قدرى) الضخم مرة أخرى ، وهو يفتح عينيه بغتة ، هاتفًا :

- (أدهم) .. أين (أدهم) ؟

أسرع إليه الطبيب ، يحاول تهدئته ، وهو يقول :

- اطمئن ياسيِّد (قدرى) .. لقد أرسلنا فى طلبه .

قال (قدرى) فى ارتياح :

- إذن فما يزال حيًا .. حمدًا لله .

تطلَّع إليه الطبيب فى دهشة ، وهو يقول :

ـ لو لم يكن كذلك ، لما أرسلوا فى طلبه .. ولكن لماذا قلت هذا ؟

ابتسم (قدرى) فى إعياء ، وقال :

ـ لست أدرى .. إنه كابوس على الأرجح .

ثم تأوّه ، وهتف فى سخط :

ـ ما هذا الألم فى صدرى ؟.. ألم تقل إنهم استخرجوا الرصاصة ؟

قال الطبيب ، وهو يفحصه بسرعة :

ـ إنها آثار العملية الجراحية .

مطّ (قدرى) شفتيه ، وقال :

ـ كنت أعلم أن الأطباء يسببون آلاما ، تفوق آلام المرض نفسه .

ثم صاح بغتة :

ـ إننى أتضوّر جوعًا .

ابتسم الطبيب ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. سيصل الطعام على الفور .

قال (قدرى) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أجابه الطبيب ، وهو يلتقط بطاقته العلاجية ، ويدوّن عليها بعض الكلمات :

ـ سنحضر لك حساء خضراوات مسلوقة ، وكوبا من اللبن الزبادى ، وبيضة مسلوقة .

وذيّل البطاقة بتوقيعه ، فهتف (قدرى) :

ـ هل تعتبر هذا طعامًا ؟

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ نعم .. هذا كل شىء .. إنك تجتاز مرحلة النقاهة ، ونحن نرغب فى خفض وزنك بعض الشىء ، محافظة على صحتك .

قالها وانصرف ، وهو يشير إلى الممرضة ، فمطّ (قدرى) شفتيه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ لماذا لم تخترق الرصاصة قلبى ، بدلا من هذا العذاب .

وألقى نظرة سريعة على البطاقة العلاجية ، ثم تنهّد وقال :

ـ أين أنت يا (أدهم) ؟.. أين أنت يا صديقى العزيز ؟

وعاوده ذلك المشهد المخيف ، الذى رآه فى كابوسه .. مشهد (أدهم صبرى) ، وفرقة من الرجال تطلق عليه النار ، وتمزّق جسده تمزيقًا ..

وشعر (قدرى) بقلق عجيب يكتنف نفسه ، ويجثم على صدره ، ويضيق أنفاسه ، وخيّل إليه أن ما رآه فى أثناء نومه ، لم يكن مجرّد كابوس ..

لقد كان نبوءة ..
نبوءة رهيبة ..

★ ★ ★

من أفضل السمات ، التى يتميَّز بها (أدهم صبرى) ، سرعة استجابته المدهشة ، وردود فعله المذهلة ، التى تبدو أحيانًا وكأنها تبدأ ، قبل أن ينتهى الفعل نفسه ، على الرغم مما يتعارض فيه هذا مع أبسط القواعد الفيزيقية المعروفة ..

ولكن هذا ما ينقذ (أدهم) ، فى كثير من الأحيان ، عندما يتوقَّف الفارق بين الحياة والموت على ثانية واحدة ..

أو أقل من هذا ..

ففى نفس اللحظة ، التى بدأ فيها (برنارد) كلمته الأخيرة ، كان (أدهم) قد درس الموقف ، ووضع خطته ، ثم بدأ تنفيذها ..

وبوثبة أنيقة رشيقة ، ركل (أدهم) باب الحجرة ، وأغلقه فى وجه (برنارد) ورجاله ، ثم دفع (منى) جانبًا ، وقفز يلتقط أحد المدافع الآلية ، التى ألقاها رجال (جوزيه) ، فى نفس اللحظة التى اخترقت فيها رصاصات (برنارد) ورجاله الباب ، و (جوزيه) يصرخ :

ـ لا .. ليس أنا .. ليس أنا .

وهنا بدأ (أدهم) دوره ، وأطلق نيران المدفع الآلى نحو الباب ..

وتراجع (برنارد) ورجاله فى سرعة ، تفاديًا لرصاصات (أدهم) ، التى حاصرتهم فى الممر الخارجى ، فى حين التصق (جوزيه) بالجدار الملاصق للباب ، وهو يضمّ ركبتيه إلى صدره ، ويصرخ صرخات متتالية مذعورة ، وجذب (أدهم) (منى) ، قائلًا :

ـ تعالى .

اختطفت مسدسها الصغير ، وتبعته إلى النافذة ، وهى تهتف :

ـ هل سنلقى أنفسنا منها ؟

حملها من وسطها النحيل بكفيه ، ودفعها إلى الإفريز الضيق خارج النافذة ، وهو يقول :

ـ تقريبًا .

ألصقت ظهرها بالجدار ، وهى تبتعد فى حذر ، فى حين واصل هو إطلاق النار على الباب لحظات ، وهو يسمع صوت (برنارد) يصرخ :

ـ قنبلة .. استخدموا قنبلة يدوية .

ووثب (أدهم) إلى الخارج ، وتحرَّك فى سرعة فوق الإفريز الضيق ، فهتفت (منى) :

- ماذا تفعل ؟.. إننا لانسير فى شارع واسع .

ارتفع من الداخل صوت (جوزيه) يصرخ :

- لا .. لاتستخدموا القنابل .. لقد خرجا من النافذة ، وأنا رئيس الشرطة أيها الأغبياء .

فقال (أدهم) فى سخرية :

- يبدو أنك ستضطرين أيضًا إلى اعتبار ذلك الإفريز شارعًا واسعًا بالفعل يا عزيزتى ؛ فالمطاردة ستبدأ بعد لحظات ، وأعتقد أن هؤلاء الأوغاد سيسعدون بفرش الطريق أمامنا بالرصاصات .

بدا الإفريز ممتدًا أمامها ، إلى عشرة أمتار قادمة ، فهتفت فى توتر :

- وأين يمكننا الذهاب ؟

هوى على زجاج النافذة التالية بكعب المدفع الآلى ، وهو يقول :

- إلى الحجرة التالية يا عزيزتى .

وثبت إلى الحجرة التالية عبر النافذة المكسورة ، وتبعها هو قائلًا بلهجته الساخرة الواثقة :

- من حسن حظنا أن هؤلاء الأوغاد أكثر انتماءً إلى حرب العصابات ، منهم إلى قتال الجيوش ، فهم يتحركون فى عشوائية وانفعال ، كلما أثرت أعصابهم أكثر .

سمعت صوت (برنارد) ، يأتى من جناحها ، وهو يصرخ :

- أين هما يا رئيس الشرطة ؟.. هل قفزا من النافذة إلى الشارع ؟

قال (أدهم) ، وهو يجذبها إلى باب الحجرة :

- أسمعت ؟!.. أراهنك أنهم اندفعوا جميعًا إلى جناحك ، عندما أخبرهم رئيس الأوغاد هذا أننا قفزنا من النافذة ، ولم يتركوا رجلًا واحدًا لحراسة الممر .

وفتح الباب ، وهو يقفز خارجه ، مصوبًا مدفعه إلى الممر ، قبل أن يبتسم ساخرًا ، ويقول :

- أرأيت ؟.. هيا بنا ، قبل أن يصاب أحدهم بنوبة ذكاء ، ويدرك أين نحن .

أسرعت تجرى إلى جواره ، فى ممر الفندق ، ولهثت وهى تقول :

- لماذا لم نستقل المصعد ؟

أجابها بلهجة حملت شيئًا من الجذل ، جعلها ترفع حاجبيها فى دهشة :

- المصاعد لكبار السن .

ولكنه أضاف فى سرعة :

- ثم إنها تبدو أشبه بالمصيدة ، يمكن قطع التيار عنها ، واصطيادها بقنبلة يدوية بسيطة .

انطلقت من خلفهما صرخة ، فى هذه اللحظة بالذات ، يقول صاحبها :

- إنهما يحاولان الهرب .

جذب (أدهم) (منى) ، فور سماعه الصيحة ، وانطلقت فى الممر رصاصات مدفع الرجل الآلى ، وارتطمت بالجدار المقابل ، فاستدار (أدهم) ، هاتفًا فى سخرية :

- خسرت دورك أيها الوغد .. والآن دورى أنا .

وأطلق (أدهم) رصاصاته ..

وبدا الفارق واضحًا ..

كانت رصاصاته تبدو وكأنها مدرَّبة على اصطياد أهدافها ، والنيل منها بمنتهى الدقة ، حتى أن (برنارد) ورجاله العشرة تراجعوا داخل جناح (منى) ، و (جوزيه) يصرخ :

- إنها كارثة .. لقد أشعلتم حربًا فى الفندق .

ولكن (منى) و (أدهم) توقَّفا عن إطلاق النار ، وهبطا السلم وثبًا ، فاندفع (برنارد) ورجاله خارج الجناح ، وصاح (برنارد) :

- القنابل اليدوية .. استخدموا القنابل اليدوية .

انتزع أربعة من الرجال فتيل قنابلهم ، وألقوها فى بئر السلم ، فسقطت فى بهو الفندق ، وانفجرت فى عنف ..

وشعرت (منى) بجسدها يرتطم بالجدار ، بفعل موجة التضاغط الناشئة ، ودفع (أدهم) جسده أمامها ، ليحميها من الشظايا المتطايرة ، فى حين تعالى صراخ وأنين من البهو ، وتحطَّم زجاج الفندق كله بدوى رهيب ، ثم سمعت (منى) (أدهم) يهتف ، وهو يجذبها من يدها :

- تعالى .

انحرف بها إلى ممر الطابق الثانى ، وراح يعدو معها عبره ، ثم اقتحم حجرة فى زاوية الفندق ، فصرخت صاحبتها ، وهى تتراجع فى رعب :

- لا .. لا تقتلانى .. الرحمة .

توقَّف (أدهم) ، ومنحها ابتسامة هادئة وسيمة ، وهو يقول :

- اهدئى يا سيِّدتى .. لقد أسأت فهمنا .. لسنا نحن القتلة .. معذرة .. سنضطر للانصراف على الفور .. تقبَّلى اعتذارنا .

ثم أمسك يد (منى) ، واندفع معها نحو النافذة ، التى تحطَّم زجاجها تمامًا ، وهتف :

- هيَّا .


وثب الاثنان عبر النافذة ، فشهقت السيدة فى رعب واتسعت عيناها فى ارتياع ..

وثب الاثنان عبر النافذة ، فشهقت السيدة فى رعب ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، واندفعت إلى النافذة ، فشاهدتهما وقد هبطا فوق مظلة واسعة ، لأحد المتاجر التابعة للفندق ، ثم وثبا منها إلى الأرض ، فهتفت :

ـ ليسا القتلة ؟!.. من هما إذن ؟

أما (أدهم) و (منى) ، فقد انطلقا يعدوان عبر الشارع ، وبرز (ماثيو) من أحد نوافذ الفندق ، وراح يطلق رصاصات مدفعه الآلى نحوهما ، وتطايرت الرصاصات فوق الطريق خلفهما ، و (منى) تهتف :

ـ لدى سيارة فى موقف الفندق .. إنها (بورش) حمراء ذات مقعدين ، وتحمل الرقم (١٠٠٣٢١) .

هتف (أدهم) متهكمًا :

ـ (بورش) ؟!.. من الواضح أنهم يدللونك كثيرًا فى الإدارة يا عزيزتى .

وجدت نفسها تبتسم ، على الرغم من دقة الموقف وخطورته ، وتقول :

ـ هل تظن هذا ؟

بلغا السيارة ، فى نفس اللحظة التى برز فيها القتلة عند باب الفندق ، وصاح (روكو) ، وهو يشير إليهما :

ـ أوقفوهما ، قبل أن ينجحا فى الفرار .

وهتف (برنارد) ، وهو يشير إلى رجاله :

ـ إلى السيارات .. سنطاردهما على الفور .

ولكن (أدهم) وثب إلى مقعد القيادة ، وهو يهتف بـ (منى) ، التى احتلَّت المقعد المجاور بحركة آلية :

ـ اعطينى المفاتيح .. سأقود أنا .

اتسعت عيناها فى هلع ، وشحب وجهها ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !

التفت إليها ، قائلًا :

ـ لاتقولى إن ...

قاطعته فى أسى :

ـ هذا ما حدث بالفعل .. لقد تركت المفاتيح فى الجناح .

قالتها وسبعة عشر قاتلًا يندفعون نحوهما ، حاملين مدافعهم الآلية ، وقنابلهم اليدوية ، وفكرة واحدة فى رءوسهم جميعًا ..

قتلهما ..

وبلا رحمة .

★ ★ ★



٦ ـ واحد فى المليون ..

شبَك مدير المخابرات العامة المصرية أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يتطلَّع فى صمت إلى (ناصر خيرى) ، الذى بدا شديد الإرهاق والتوتر ، وهو يفرك كفَّيه فى عصبية ، ثم سأله المدير فى هدوء صارم :

ـ متى ينبغى أن يتمّ الاتصال ، بينك وبين المنظمة يا (ناصر) ؟

أجابه (ناصر) ؟ فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ لا يوجد موعد محدود ، ولكن من المفروض أن أبلغهم بانتهائى من تركيب أجهزة التصنت .

سأله المدير :

ـ وكيف تبلغهم ؟

أجابه على الفور :

ـ بإعلان فى صحيفة الأهرام ، أقول فيه : إن شخصًا يجيد اللغة الألمانية ، يرغب فى إعطاء دروس بالفرنسية والإنجليزية ، لطالب نرويجى الجنسية .

قال أحد مساعدى المدير :

ـ إعلان مثير للريبة يا سيِّدى المدير .. أعتقد أنه يكذب .

انهار (ناصر) تمامًا ، وقال :

ـ حسن .. حسن .. سأعترف بكل شيء .. إنه إعلان بسيط فى الواقع ، عن مترجم للغة الفرنسية يبحث عن عمل ، مع رقم هاتف .. وهذا الرقم يتغيّر تبعًا لنجاح المهمة أو فشلها ، وعدد أجهزة التصنت ، التى تعمل بكفاءة .

عقد المدير حاجبيه ، وقال :

ـ فكرة بسيطة وفعّالة .

ثم مال إلى الأمام ، وسأله فى صرامة وخشونة :

ـ لماذا كذبت فى البداية ؟

بكى (ناصر) فى انهيار ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. لست أدرى لماذا فعلت هذا ؟!.. سامحونى .. أرجوكم .

تراجع المدير فى مقعده مرة أخرى ، وقال :

ـ هل تعرف عقوبة الخيانة يا (ناصر) ؟

أجابه منهارًا :

ـ الإعدام .

قال المدير :

ـ نعم يا (ناصر) .. الإعدام .. إنهم يلبسون حلة حمراء زاهية ، تشبه لون الدم ، ويضعونك فى زنزانة صغيرة ، ثم يوقظونك ذات صباح ، دون إنذار مسبق ، ويحملونك إلى

حجرة ضيقة ، يقف فيها مأمور السجن ، والواعظ ، ورجل يطلق عليه اسم (عشماوى) ، وهذا الأخير بالذات يخفى وجهك بقناع أسود بلا فتحات ، ثم يحيط عنقك بأنشوطة سميكة ، ويجذب ذراعًا ، و ...

كان جسد (ناصر) يرتجف بشدة ، وذهنه يرسم صورة مخيفة لما يرويه المدير ، ثم هتف بغتة ، ليمنع هذا الأخير من الاستطراد :

ـ كفى .. كفى .

وانخرط فى بكاء حار عنيف .. ولكن المدير لم يمهله ، وإنما تابع فى صرامة :

ـ ولا توجد سوى وسيلة واحدة لتفادى هذا المصير .

هتف (ناصر) :

ـ ما هى ؟.. أخبرنى .. أرجوك .

أجابه المدير بصوت حازم :

ـ أن تتعاون معنا .

لم يمنح (ناصر) نفسه لحظة واحدة للتفكير ، وإنما هتف على الفور :

ـ أنا مستعد .. سأتعاون معكم بكل استطاعتى .. سأفعل كل ما تطلبونه منى .

تبادل المدير نظرة مع رجاله ، ثم قال :

- عظيم .. إنها بداية جيِّدة .
قال (ناصر) ، وهو يرتجف فى انفعال :
- ماذا تطلبون منى ؟.. أنا رهن إشارتكم .
ابتسم المدير ، وهو يقول :
- فى الوقت الحالى ، يقتصر كل ما نطلبه منك على أمر واحد .
وضاقت حدقتاه ، وهو يضيف :
- انشر الإعلان .
وكانت البداية ..

★ ★ ★

كادت (منى) تبكى قهرًا وغيظًا وندمًا ، عندما كشفت نسيانها للمفتاح ، ولكن (أدهم) مدّ يده بسرعة إلى درج السيارة الأمامى ، وهو يقول :
- لا داعى للقلق .. ربُما ...
فوجئت به ينتزع مفتاحًا إضافيًا ، ملصق بأعلى الدرج ، وهو يبتسم قائلًا :
- ها هوذا .
اتسعت عيناها فى دهشة ، وهو يدس المفتاح فى الثقب الخاص به ، ويدير المحرِّك ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات (برنارد) ورجاله ، وألقى أحدهم قنبلة

نحو السيارة ، التى ضغط (أدهم) دوّاسة وقودها بكل قوته ، وهو يدفع عصا السرعة إلى وضع الانطلاق ..
واندفعت السيارة بكل سرعتها ..
وانفجرت القنبلة خلفها ، فأطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :
- إصابة فاشلة أيها الوغد .
صرخ (برنارد) :
- انطلقوا خلفهما بالسيارات .. سنطاردهما على الفور .
وثب الجميع إلى أربع سيارات قوية ، وانطلقوا خلف (البورش) ، ولكن (أدهم) أدارها فى حنكة ومهارة ، حتى تجاوز موقف السيارات الخاص بالفندق ، ثم انطلق فى الطريق الممتد أمامه ، وانطلقت خلفه سيارات رجال (برنارد) الأربع ..
وعبر شوارع (كيواوا) ، دارت مطاردة رهيبة ..
ولكن (البورش) أثبتت تفوّقًا واضحًا هذه المرة ، بجسمها الانسيابى ، وإطاراتها العريضة ، ومحرِّكها القوى ، وحجمها الصغير ، الذى منحها قدرة أكبر على المناورة ، وسرعة أكثر فى الانطلاق ، فوق الطرق الممهَّدة ..
وشعر (برنارد) بغيظ لا حدود له ، و (البورش) تبتعد

أكثر وأكثر ، والمسافة بينها وبين سيارات رجاله تتزايد فى سرعة ، و (أدهم) ينحرف فى شوارع جانبية ، ومنها إلى شوارع أخرى ، وأخرى ، حتى اختفى عن أنظارهم تمامًا ، فرفع (برنارد) يده ، وهو يهتف :

ـ توقفوا .

صاح به (روكو) فى دهشة وحنق :

ـ ماذا تعنى ؟!.. ألن نواصل المطاردة ؟

أجابه فى حدة :

ـ لا فائدة .. لقد خسرناها بالفعل .. لن نوقع ذلك الشيطان بهذه الوسيلة .

سأله (ماثيو) :

ـ ماذا تقترح إذن ؟

قال فى توتر :

ـ ليست لدى خطة محدودة ، فى هذه اللحظة بالذات .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يضيف :

ـ ولكنه لن يفلت منا .. لن يفلت أبدًا .

هتف (فيدوك) :

ـ لقد سئمت هذه العبارة .

قال (برنارد) فى حدة :

ـ حاول أن تعتادها إذن .

ونقل بصره إلى حيث اختفى (أدهم) ، وهو يضيف فى غيظ :

ـ فالصراع بيننا وبين ذلك الشيطان سيتخذ ، منذ هذه اللحظة ، مُنْحنى جديدًا .. مُنْحنى لن نسمح له بتجاوزه ، مهما كان الثمن .

★ ★ ★

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يتطلّع إلى مرآة السيارة الجانبية ، وقال :

ـ من الواضح أنهم خسروا السباق ، فلقد اختفوا تمامًا منذ خمس دقائق .

راقبته (منى) فى صمت ، ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة حانية ، وهى تقول :

ـ مرحى يا (أدهم) .. هذا يذكّرنى بالأيام الخوالى .

شرد ببصره لحظة ، قبل أن يهمس :

ـ صدقت .

ومال بالسيارة ، ليوقفها إلى جانب الطريق ، والتفت إليها ، مستطردًا :

ـ أمازلت تذكرين هذه الأيام يا (منى) ؟

قالت فى هيام :

ـ لا يمكننى أن أنسى لحظة واحدة قضيناها معًا ، ولا ...

بترت عبارتها بغتة، وتضرَّج وجهها بحمرة الخجل ..
وارتفع حاجباه فى حب ..
كم ذكَّرته لحظتها بأيام زمالتهما الأولى ..
كم بدت رقيقة وجميلة ..
وكم تمنى لو احتواها بين ذراعيه، و ...
«قل لى .. ما هذا المفتاح، الذى عثرت عليه ؟..» ..
ألقت (منى) هذا السؤال فى ارتباك، فى محاولة لإخفاء اضطرابها، وقطعت سيل أفكاره ومشاعره المتدفِّقة، ولكنه فهم ما ترمى إليه، فاعتدل فى هدوء، وابتسم قائلًا:
ـ إنها عادة قديمة، كنا نتبعها فى أيام العمل الأولى، فعندما نترك سيارة لزميل، فى مهمة رسمية، نضع فى المعتاد مفتاحًا إضافيًّا، أعلى درج السيارة.
هتفت:
ـ ولماذا لم يخبرونى بهذا ؟
هزَّ كتفيه، قائلًا:
ـ ربَّما تصوَّروا أنك تعرفين.
ثم أضاف فى اهتمام:
ـ ولكن دعينا من هذا، وأخبرينى .. لماذا أتيت إلى هنا ؟
أجابته فى حماس:

ـ لقد علمنا بأمر تدمير مزرعتك، عن طريق رجالنا هنا، وكانت هناك مهمة بالغة الخطورة، أراد المدير إسنادها إليك، ووجدتها أنا فرصة للسفر إلى هنا، لإبلاغك الأمر، و ...
وانخفض صوتها، وعاد وجهها يتضرَّج بحمرة الخجل، وهى تضيف:
ـ والاطمئنان عليك.
سألها فى اهتمام:
ـ وما هذه المهمة بالضبط ؟
قصَّت عليه ما حدث بكل التفاصيل، واستمع هو إليها فى اهتمام بالغ، حتى انتهت من روايتها، ثم قال فى غضب:
ـ إذن فقد أطلقوا النار على (قدرى) .. إنهم يستحقون القتل لهذا.
قالت فى اهتمام مماثل:
ـ (قدرى) بخير، والأطباء يؤكِّدون أنه سيشفى، ولكن الخطورة تكمن فى هذه المنظمة الجديدة، وشعارها الذى يحمل رسم أفعى تلتهم ذيلها، وتلك التكنولوجيا المتقدِّمة، التى يستخدمها رجالها .. إنها كارثة جديدة يا (أدهم).
صمت لحظات، وهو يفكِّر فى عمق، ثم قال فى أسف:

- هل تعلمين ؟.. هؤلاء الأوغاد ، الذين حاولوا قتلنا منذ قليل ، يعملون لحساب (سونيا جراهام) ، وذلك الذى يقودهم ، ويقيم فى الفندق نفسه ، الذى كنت تقيمين فيه ، جاء بأمر مباشر منها ، وهو ينفق فى سخاء ، ويرشو كل من يلتقى به ، وهو الخيط الوحيد ، الذى يمكن أن يقودنى إلى (سونيا) ، و ...

عاد إلى صمته ثانية ، قبل أن يضيف فى حزم :

- وإلى ابنى .

خفق قلبها ، مع اللهجة التى نطق بها كلمته الأخيرة ، ورأت الحزن يطلّ من عينيه ، وهو يعود إلى صمته وتفكيره ، فغمغمت :

- لا أحد يمكنه منعك من البحث عن ابنك ، ولكن ...

قاطعها فى حزم :

- ولكن الوطن ينادينى .. أعلم هذا .

ثم عقد حاجبيه فى توتر ، وهو يضيف :

- فليكن يا (منى) .. لو أننا سافرنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فسنستقل طائرة مساء الجمعة ، وهى أوّل طائرة إلى (القاهرة) ، وهذا يعنى أن لدينا ثلاثين ساعة تقريبًا هنا ، فى كل الأحوال ..

ورفع عينيه فى حزم ، وهو يستطرد :

- وسأستغل هذه الساعات الثلاثين ، للتوصل إلى مكان (سونيا جراهام) ، فإما أن أنجح فى هذا ، أو ...

اكتسب صوته صلابة ، وهو يضيف :

- أو نلبى نداء الوطن .

وارتجف قلبها فى قوة ..

* * *

احتقن وجه (جوزيه) فى شدة ، وهو يلوّح بذراعيه ، فى مكتب الحاكم (خوان) ، هاتفًا :

- لم يعد من الممكن احتمال الموقف يا سيّدى الحاكم .. ألم تر ما فعلوه فى الفندق .. كيف نفسر للمسئولين فى العاصمة كل ما حدث ؟.. لقد أصابوا المدينة كلها بالذعر ، والناس تطالبنى باتخاذ موقف حازم .

قال الحاكم فى توتر :

- وهناك صاحب الفندق أيضًا .

مطّ (مايكل) شفتيه ، وقال :

- لا تقلق نفسك بشأنه ، لقد حصل على التعويض المناسب .

سأله (جوزيه) بلهفة :

- أتعنى أنه لن يتقدّم بشكوى رسمية ؟

رفع (مايكل) حاجبيه ، وهو يقول :

- بل سيفعل بالطبع .

هتف الحاكم :

- ولكن لماذا ؟

ابتسم (مايكل) ، وقال :

- كيف ستفسّر للمسئولين ما حدث إذن ؟

تبادل الحاكم و (جوزيه) نظرة حائرة ، قبل أن يقول هذا الأخير :

- يخيل إلىّ أننى لم أفهم شيئًا .

قال (مايكل) فى هدوء :

- إنه اقتراح السنيورا (نورما) فى الواقع ، فالسنيور (أميجو) والسائحة البرازيلية هما المسئولان عن إطلاق النيران ، والانفجارات ، وكل ما حدث فى المدينة .. من الناحية الرسمية بالطبع .

عاد الحاكم يتبادل نظرة سريعة مع (جوزيه) ، قبل أن يقول فى انفعال :

- فهمت .. إننا سننسب كل شىء إليهما .

لوّح (مايكل) بكفه ، وقال :

- ولدينا دافع منطقى .. إنهما مهربا مخدرات ، ولقد ضبط المفتش (جوزيه) حقيبة الهيروين ، وأراد أن يلقى القبض عليهما ، فجن جنونهما ، واشتعل الموقف كله .

هتف الحاكم :

- فكرة رائعة .

ولكن (جوزيه) قال فى حدة :

- ولكنها تضعنى فى صورة المقصّر ، الذى عجز عن منعهما من فعل كل هذا .

قال (مايكل) :

- من قال هذا ؟.. لقد قاتلت بكل قوتك ، ولدى شهود على هذا ، ولكنهما هذدا بقتل المدنيين الأبرياء ، وكان عليك أن تحافظ على حياة مواطنيك ، وهذا واجب وطنى .

هتف (جوزيه) :

- بالتأكيد .. إنه أهم واجبات وظيفتى .

قلب (مايكل) يده ، قائلًا :

- أرأيت ؟.. إنك بطل قومى ، وهما المجرمان القاتلان .. سنعلن هذا رسميًا ، ونصدر أمرًا بإلقاء القبض عليهما ، ونوزّع منشورات بصورتيهما ، فى كل شارع من شوارع المدينة ، مع مكافأة سخية لمن يرشد عنهما .. ولنقل خمسين ألف دولار مثلًا .

قال (جوزيه) :

- ولكن ليست لدينا صورة واحدة للسنيور (أميجو) ، أو تلك السائحة .

ابتسم (مايكل) ، وهو يقول :

ـ نحن لدينا صورتاهما .

قال الحاكم :

ـ وماذا عن المكافأة ؟!.. إن ميزانية (كيواوا) محدودة ، و ...

قاطعه (مايكل) :

ـ نحن سندفع المكافأة أيها الحاكم ، بالإضافة إلى مكافأة خاصة لكل الأصدقاء ، الذين يتعاونون معنا بالطبع .

ابتسم الحاكم ، وهو يقول :

ـ نحن نعرف كرم السنيورا (نورما) ياسنيور (مايكل) .

قال (مايكل) :

ـ ومازال فى جعبتها الكثير والكثير أيها الحاكم .. المهم أن ندفع (كيواوا) كلها للبحث عن السنيور (أميجو) والسائحة البرازيلية .. نريد أن نحسم الأمر هذه المرة .. لن نمنحهم فرصة واحدة للهرب .. ولا بنسبة واحد فى الألف .

قال (جوزيه) فى حماس :

ـ اطمئن يا سنيور (مايكل) .. ولا حتى بنسبة واحد فى كل مائة ألف .. بل واحد فى المليون .

وتبادل نظرة أخرى مع الحاكم ..

★ ★ ★

رفعت (منى) حاجبيها فى دهشة ، وهى تدير عينيها فى تلك الشقة الأنيقة ، التى انتقلت إليها مع (أدهم) ، وهتفت :

ـ هل تمتلك هذه الشقة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. أمتلكها منذ عام كامل ، باسم (ماريو ألبرتو) ، وأحضر إليها كل حين وآخر ، بشعر بنى ، وشارب كث .

قالت فى حيرة :

ـ ولكن لماذا ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ منزل آمن .. إننى أتبع القاعدة الأمنية فى عالمنا يا عزيزتى .

ضحكت ، قائلة :

ـ يا إلهى !.. هل تصنع عالمًا خاصًا بك يا (أدهم) ؟

ابتسم ، قائلًا :

ـ بحكم العادة .. ثم إننى كنت أتوقّع أن تُقدم (سونيا) على مثل هذا يومًا ؛ فأنت تعلمين كم يمتلئ قلبها بالكراهية

والبغض، وأنها لا تتورع عن قتل والد طفلها الوحيد، لتشبع رغبتها الوحشية فى الانتقام.

شعرت بضيق شديد، عندما أتى على ذكر (سونيا) وطفلهما، فأشاحت بوجهها، قائلة:

ـ ومن حسن الحظ أننا حملنا تلك الحقيبة، التى وضعها الزملاء فى (البورش).. أقصد تلك التى تحوى الأسلحة والأدوات الأخرى.

أشار بيده، قائلًا:

ـ ستجدين هنا أيضًا بعض الأسلحة الضرورية، فقد أعددت المكان، بحيث يتحوّل إلى مركز قتال عند الضرورة، وزوّدته بكل ما أحتاج إليه احتياطيًا.. الأسلحة.. أدوات التنكر، رخص القيادة وجوازات السفر المزوّرة، التى أعدها لى صديقنا (قدرى).. باختصار.. إنها نقطة انطلاق مثلى، فى مثل هذه الظروف.

قالت، وهى تحاول حجب ضيقها:

ـ هذا يعنى أن هؤلاء الأوغاد سيجوبون المدينة طويلًا، دون أن يجدوا الفرصة لتوجيه ضربة تالية إلينا.

هزّ رأسه نفيًا، وهو يقول:

ـ بل يعنى ما هو أكثر بكثير يا (منى).

وانعقد حاجباه فى حزم، مع استطرادته:

ـ يعنى أننى سئمت لعب دور المدافع، وقررت أن أنتقل إلى خانة الهجوم، ولتبدأ مرحلة جديدة من الصراع يا (منى).. مرحلة أكثر حسمًا.

وارتجف قلبها، وهو يضيف:

ـ وأكثر وحشية.

★ ★ ★



٧ ـ مرحلة الهجـوم ..

عقد طبيب المستشفى حاجبيه فى شدة ، وهو يهتف فى حجرة العناية المركَّزة بغضب :

ـ ما هذا العبث ؟.. ما الذى يعنيه إهمالكم ؟.. من سمح له بتناول هذه الأطعمة ؟

كان (قدرى) يرقد نصف جالس على سريره ، وأمامه صينية طعام كبيرة ، حملت كل ما لذَّ وطاب ، من أشهى أنواع الأطعمة ، وهو يقبل عليها فى نهم شديد ، على الرغم من صيحات الطبيب ، فى حين امتقع وجه الممرضة ، وهى تقول :

ـ ولكننى أنفذ الأوامر يا سيِّدى .

صاح الطبيب فى حدة :

ـ أية أوامر ؟.. من قال إن رجلًا فى فترة النقاهة ، بعد استخراج رصاصتين من صدره ، يتناول الدجاج المشوى والأرز المتبَّل والحساء الدسم ؟.. أى غبى سمح له بهذا ؟

ارتبكت الممرضة ، وهى تقول :

ـ ولكن يا سيِّدى .

صرخ فى وجهها :

ـ ولكن ماذا ؟.. هذه مخالفة جسيمة .. ارفعوا هذه



كان (قدرى) يرقد نصف جالس على سريره ، وأمامه صينية طعام كبيرة ، حملت كل ما لذَّ وطاب ..

الأطعمة من أمامه على الفور ، وأرسلوا فى طلب من صرّح بها .

أسرع أحد الرجال يبعد صينية الطعام عن (قدرى) ، الذى اختطف قطعة من الدجاج ، وهو يهتف متبرمًا :

ـ إننى لم أكمل طعامى بعد .

أما الممرضة ، فقد ارتبكت لحظة ، ثم قالت :

ـ إنه هنا يا سيّدى .

هتف الطبيب ، وهو يتلفت حوله متحفزًا :

ـ أين هو ؟

أشارت إليه الممرضة ، وهى تجيب فى حرج :

ـ إنه أنت يا سيّدى .

هتف فى دهشة واستنكار :

ـ أنا ؟!

أسرعت تناوله البطاقة العلاجية ، وهى تشير إليها ، قائلة :

ـ بالطبع يا سيّدى .. انظر .. أنت شطبت الأطعمة السابقة ، وطلبت تغذيته بطعام دسم وشهى ، وهذا توقيعك .. أليس كذلك ؟

حدق الطبيب ذاهلًا فى التوقيع ، وغمغم :

ـ نعم .. إنه توقيعى ، ولكننى لست أذكر قط أننى فعلت هذا .

ثم أضاف فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

سمع من عند الباب صوت مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ أظن أننى أمتلك تفسيرًا .

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول فى حرج :

ـ سيّدى المدير .

تقدّم منه المدير ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا (قدرى) .. الواقع أننى أتيت للاطمئنان عليك ، ولم أقصد سماع هذا الأمر .

ثم أشار إليه ، وهو يتحدّث إلى الطبيب ، مستطردًا :

ـ أقدّم لك (قدرى) أيها الطبيب ، خبير التزييف والتزوير بالإدارة .

اتسعت ابتسامة (قدرى) فى جذل ، والمدير يلتفت إليه ، قائلًا :

ـ من الواضح أن أصابعك لم تفقد مهارتها يا رجل .

هتف الطبيب فى حدة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (قدرى) فى حرج :

ـ يعنى أننى أنا صاحب التوقيع ، الذى يشبه توقيعك تمامًا .

ثم هزَّ كتفيه ، مستطردًا :

ـ كنت جائعًا ، ولم أسبِّب ضررًا لأحد .. أليس كذلك ؟

واتسعت ابتسامته أكثر وأكثر ..

★ ★ ★

« ما الذى تعنيه بأنكم عجزتم عن العثور عليه ؟.. » .

صاح (مايكل) بالعبارة فى وجه (برنارد) ، وهو محتقن الوجه فى شدة ، حتى أنه أنهاها بسعال جاف عنيف ، و (برنارد) يقول فى صرامة :

ـ الأمر لايعنى سوى معناه الواضح يامستر (مايكل) .. لقد قلبنا نحن ورجال الشرطة (كيواوا) كلها رأسًا على عقب ، ولكننا لم نعثر على أدنى أثر للرجل والفتاة ، ولا حتى السيارة (البورش) .

هتف (مايكل) :

ـ لماذا ؟.. هل تبخرا ؟.. أين ذهبا بالضبط ؟.. وأين (البورش) ؟.. لقد وضعنا نقاط مراقبة ، على كل مداخل ومخارج المدينة ، ولم نتلق بلاغًا واحدًا ، عن عبور (البورش) ، أو الرجل والفتاة ، وهذا يعنى أن ثلاثتهم

ما يزالون داخل المدينة ، فكيف عجزتم عن العثور عليهم ؟

أجابه (برنارد) فى ضيق :

ـ البحث لم ينته بعد ، والمنشورات والملصقات تملأ الشوارع والطرقات ، ولكن الاثنين والسيارة اختفوا تمامًا ، وكأنما انشقَّت الأرض وابتلعتهم .

صاح (مايكل) :

ـ خطأ .. خطأ .. هذا الرجل يزداد خطورة فى كل مرة ، حتى أن القضاء عليه بسرعة بالغة صار أمرًا حتميًا ، وإلا قضى هو علينا جميعًا .

قال (برنارد) فى حنق :

ـ الجميع يبذلون قصارى جهدهم .

هتف (مايكل) :

ـ فليبذلوا المزيد .. كم تبقَّى معك من رجال .

زفر (برنارد) فى توتر ، قبل أن يشيح بوجهه ، ويقول فى سخط :

ـ لقد فقد ثلاثة وثمانين رجلًا ، وخمس عشرة سيارة .

صاح (مايكل) فى ارتياع :

ـ ماذا ؟.. لقد خسرت الفريق كله تقريبًا .. كيف يمكننى أن أبلغ مسز (آرثر) بهذا ؟.. إنها ستقتلنى لو علمت .. بل ستقتلنا جميعًا .

ثم سأله فى عصبية :

ـ وأين باقى الرجال ؟

أجابه (برنارد) :

ـ لقد خرج عشرة منهم، مع (ماثيو) و (روكو)، لمواصلة تفتيش المدينة، أما (فيدوك) والرجال السبعة الآخرون، فهم ينتظرون فى البهو .

قال (مايكل) فى توتر :

ـ أرسل خمسة منهم لحراسة جناحى .. لقد احتجز ذلك الشيطان (جوزيه) بعض الوقت، وأخشى أن يكون قد أجبره على البوح ببعض ما لديه .

قال (برنارد) فى ضيق :

ـ فليكن .. سأرسلهم إليك على الفور .

لم يكد يتمّ عبارته، حتى اندفع أحد رجاله داخل الجناح، وهو يهتف :

ـ سيّدى .. (البورش) .

هتف به (مايكل) فى حرارة :

ـ هل عثرتم عليها ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا، وقال فى توتر :

ـ إنها هنا .

حدّق (مايكل) و (برنارد) فى وجهه لحظة، قبل أن يهتف الأخير :

ـ أين ؟

أشار الرجل بإبهامه إشارة مبهمة، وهو يقول :

ـ هنا .. فى الشارع الضيق خلف الفندق .

هتف (مايكل) :

ـ ومن أحضرها ؟.. من قادها إلى هنا ؟

أجابه الرجل فى حيرة :

ـ لسنا ندرى .. لقد كنا نجلس فى البهو، ثم جاء صبى صغير إلى سنيور (فيدوك) مباشرة، وأبلغه أن السيارة هناك، فهرعنا إلى الشارع الخلفى، ووجدناها واقفة :

سأله (برنارد) فى انفعال :

ـ وماذا فعلتم بها ؟

أجابه مرتبكًا :

ـ لا شىء .. سنيور (فيدوك) اقترح إبلاغك أوّلا، قبل القدوم على أى شىء .

أسرع (برنارد) يتحرّك، وهو يقول :

ـ فليكن .. انتظر هنا يا مستر (مايكل)، ولا تتحرّك، وسأفحص تلك السيارة بنفسى .

ولم تمض دقيقة واحدة، حتى كان يقف أمام السيارة بالفعل، وهو يقول :

كيف أتت هذه السيارة إلى هنا ؟

أجابه (فيدوك) فى غيظ :

ـ هو أحضرها بالتأكيد .. إنه يسخر منا ، ويثبت أن جرأته بلا حدود .

هتف (برنارد) :

ـ اللعنة !.. اللعنة !

تقدَّم (فيدوك) من السيارة ، وهو يقول فى حزم :

ـ دعنا نفحصها أوَّلًا ، ثم ...

رآه (برنارد) يمسك المقبض ، ويفتح الباب ، فصاح به :

ـ لا .. لا تفعل .

ولكن ، سبق السيف العذل ..

لقد فتح (فيدوك) الباب بالفعل ، قبل أن يتمّ (برنارد) عبارته ، فاشتعل فتيل سميك على نحو مباغت ، وصرخ (برنارد) :

ـ ابتعد .

انطلق الرجال يعدون مبتعدين ، فى حين صدر من داخل السيارة صفير مكتوم ، مع انفجار خافت ، ثم تصاعد منها دخان كثيف أبيض ، غمر المكان كله فى لحظة واحدة ، فهتف (برنارد) فى دهشة :

ـ لست أفهم شيئًا .. إنها قنبلة دخان !.. لماذا لم يضع قنبلة حقيقية ؟

فوجئ بصوت ساخر إلى جواره ، يقول :

ـ خمِّن .

ثم هوت على فكه لكمة كالقنبلة ، جعلته يرتطم بالحائط ، فصرخ :

ـ إنه هنا .

تحرَّك الرجال فى عصبية ، و (فيدوك) يسعل هاتفًا :

ـ أين ؟.. أين هو ؟

ارتفعت تأوهات الرجال ، واحدًا بعد الآخر ، مع أصوات الضربات العنيفة ، فكرَّر (فيدوك) فى عصبية :

ـ أين هو يا (برنارد) ؟.. أين هو ؟

لوَّح (برنارد) بذراعيه أمام وجهه فى قوة ، وكأنه يحاول إبعاد سحب الدخان ، وهو يهتف :

ـ إنه وسطنا يا رجل .. ألف لعنة !.. كيف يرانا ولا نراه ؟

سمع صوت محرِّك (البورش) يدور ، فصرخ :

ـ إنه يهرب .. حاولوا منعه .

ولكنه لم يسمع جوابًا من رجاله ، ولم يشعر باستجاباتهم ، فى حين انطلقت (البورش) فجأة ، متجاوزة

الشارع الضيق ، إلى الطريق الرئيسى ، فهتف (برنارد) فى حنق ومرارة ، وقد ملأ الدخان عينيه ، فاحتقنتا ، وأطلقتا فيضًا من الدموع :

ـ أوقفوه .. حاولوا منعه .

ولكن (البورش) ابتعدت بسرعة ، وغابت مرة ثانية فى شوارع المدينة ..

ثم انقشعت سحب الدخان الأبيض تدريجيًا ، وبدأت الرؤية تتضح ، على الرغم من الدموع ، التى أغرقت عينى (برنارد) تقريبًا ، فصاح فى ارتياع :

ـ يا للشيطان !.. مستحيل !

كان الرجال السبعة يفترشون الشارع الضيق ، ووسطهم (فيدوك) ، وقد تهشمت أنوف بعضهم ، وانكسرت أسنان البعض الآخر ..

أما (أدهم صبرى) ، فقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

* * *

تجاهل رجال الشرطة تمامًا تلك العجوز الخرساء ، التى حضرت للإبلاغ عن ضياع كلبها المدلل ، والتى راحت تبكى وتولول ، وهى تلوّح بذراعيها فى انفعال ، وترسم فى الهواء حركات متداخلة معقّدة ؛ لتشرح مدى ارتباطها

بالكلب الضائع ، وكيف فقدته ، وشعر الجندى الذى يسجّل أقوالها بالتوتر والضجر ، وهو يولى جل اهتمامه لرئيسه (جوزيه) ، الذى بدأ يضرب سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف فى ثورة :

ـ كيف ؟.. كيف ؟.. كيف ؟.. ولن أملّ ترديد السؤال ، ما دمتم تعجزون عن منحى الجواب الشافى .. أى رجال شرطة أنتم ؟.. كيف تعبر (البورش) الحمراء شوارع المدينة ، وتصل إلى الفندق ، وتفجّر قنبلة دخان ، وتصيب ثمانية رجال بإصابات بليغة ، ثم تغادر المكان ، وتختفى مرة أخرى ، دون أن يرصدها شرطى واحد ، أو تلقى القبض على سائقها .. كيف يا رجل ؟.. كيف ؟

أجابه أحدهم فى توتر :

ـ ربما يحفظ سائقها الطرق الخلفية ، بعيدًا عن المسارات المألوفة .

قال (جوزيه) فى حدة :

ـ ولماذا تتركون هذه الطرق الخلفية خالية ؟

أجاب آخر فى حذر :

ـ ليس لدينا العدد الكافى من رجال الشرطة ، لمراقبة كل شارع فى (كيواوا) ، حتى الطرق الخلفية .

صاح (جوزيه) :

ـ فلنخل الساحة إذن ، ما دمنا عاجزين عن اقتناص رجل وفتاة ، يمرحان فى مدينتنا بسيارة مميَّزة ، كما لو أنهما يتنزهان فى حديقة خالية .. ماذا أصابكم ؟.. لماذا تفتقدون الحماس هذه المرة ؟

تبادل الرجال نظرات متوترة ، ثم استجمع أحدهم شجاعته ، وقال :

ـ الرجال لا يصدقون ما سمعوه عن سنيور (أميجو) .. إنهم يقولون : إنه رجل عظيم ومهذَّب ، ومن المستحيل أن يتورط فى ...

قاطعه (جوزيه) فى غضب ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته فى قوة :

ـ ليس هذا من شأنهم ، إنهم ليسوا قضاة ، بل مجرد رجال شرطة ، تنحصر مهمتهم فى تنفيذ الأوامر والطاعة .. هل تفهمون جميعًا ؟.. مهمتكم هى تنفيذ الأوامر .. وبلا مناقشة .

صاحت العجوز الخرساء فى وجه الشرطى ، وهى تجذبه ليلتفت إليها ، فعقد حاجبيه فى سخط ، وهو يقول فى حدة :

ـ لماذا تبقين هنا يا أماه ؟.. هيَّا .. عودى إلى منزلك .. لقد حصلنا على أقوالك ، وسنرسل فرقة كاملة للبحث عن كلبك الضائع .

لوَّحت بذراعيها ، وعادت تصف الكلب وحجمه ، فقاطعها فى عصبية :

ـ لقد سجَّلنا كل هذا .. هيَّا .. انصرفى ، قبل أن ألقى بك فى السجن .

أطلقت صيحة معترضة ، ولكنه أشاح بوجهه عنها هذه المرة ، وعاد يستمع إلى (جوزيه) فى اهتمام ، فاعتدلت العجوز فى مقعدها ، وفتحت حقيبتها ، والتقطت منها بخفة مدهشة ، لفافة صغيرة ، ألقتها فى سلة المهملات المجاورة للمكتب ، ثم نهضت منصرفة ، وهى تتحرَّك فى خطوات بطيئة ، ولكنها لم تكد تغادر مبنى الشرطة ، حتى اعتدل ظهرها المحنى فجأة ، وبدت أكثر نشاطًا وحيوية ، مما تبدو عليه ملامحها ، وابتسامتها الساخرة الجذلة ..

أما (جوزيه) ، فتابع فى الداخل :

ـ ما حدث لا يعنى سوى أمر واحد .. إننا نحتاج إلى إعادة تنظيم أنفسنا ، وإعداد خطة جديدة ومغايرة .. سننشر قواتنا بشكل أفضل ، ونستعين ببعض الشرفاء لمعاونتنا .

قال أحدهم فى خبث :

ـ مثل السنيور (مايكل) ورجاله .

فهم (جوزيه) ما يرمى إليه الرجل ، فعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- نعم .. مثل السنيور (مايكل) ورجاله .
ثم لوّح بذراعيه ، وهو يضيف :
- إن هذا يمنحنا فرصة إضافية لـ ...
قاطعه رنين هاتفه الخاص ، فالتقط مسماعه بحركة آلية ، وقال :
- المفتش (جوزيه) رئيس الشرطة .. من المتحدّث ؟
انعقد حاجباه فى شدة ، عندما سمع صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول :
- أنا (أميجو) .
هتف (جوزيه) :
- من أين تتحدّث يا سنيور (أميجو) ؟
ثم أشار إلى رجاله بتعقّب المحادثة ، و (أدهم) يجيب :
- ليس هذا من شأنك .. المهم الآن أن تخلى القسم ، قبل أن تنفجر القنبلة .
ارتجف (جوزيه) ، وهو يقول :
- أية قنبلة ؟
أجابه (أدهم) بلهجة ساخرة :
- القنبلة التي ستنسف أحلامك الوردية يا عزيزى (جوزيه) .. والآن لاتضِع الوقت فى مناقشة عابثة ، فأمامكم نصف دقيقة فحسب ، قبل أن تنفجر القنبلة .. الوداع .

وأنهى المحادثة على الفور ..
ولثانية أو ثانيتين ، ظلّ (جوزيه) يحدّق فى مسماع الهاتف ، قبل أن يلقيه جانبًا ، ويصيح :
- هناك قنبلة ، ستنفجر بعد نصف الدقيقة .
أصيب الجميع فى القسم بحالة من الذعر والهلع ، واندفعوا يغادرون المكان فى رعب ، و (جوزيه) يصيح :
- هل تعقّبتم المحادثة ؟.. هل عرفتم من أين يتكلّم ؟
أجابه أحد الرجال فى توتر :
- إنه يتحدّث من مطعم (شيكو) .
اتسعت عينا (جوزيه) فى ذهول ، وهو يحدّق فى المطعم ، الذى يحتلّ مساحة كبيرة ، فى مواجهة قسم الشرطة مباشرة ، ويحمل اسم (شيكو) وصاح :
- اطبقوا عليه .. أسرعوا .
استلّ الرجال مسدساتهم ، واندفعوا إلى المطعم ، واقتحموه فى عنف ، وجذب أحدهم (شيكو) فى قسوة ، وهو يصيح فى وجهه :
- أين الرجل الذى تحدّث فى الهاتف منذ قليل ؟
أجابه (شيكو) مرتجفًا :
- لقد انصرف على الفور .. ماذا هناك ؟.. أهو مجرم هارب ؟

قال الرجل فى صرامة :

ـ هل تمزح يا (شيكو) ؟.. إنه السنيور (أميجو) .. ألم تتعرّفه ؟!

حدّق (شيكو) فى وجهه بذهول ، وقال :

ـ السنيور (أميجو) ؟!.. إنه حتى لا يشبهه .. لقد كان كهلًا أصلع الرأس ، متغضّن الوجه ، أجرى الاتصال ، ثم انصرف على الفور ، و ...

وقبل أن يتمّ جوابه ، دوّى الانفجار ..

واتسعت عيون رجال الشرطة ، وكل المحيطين بالمكان فى ذهول ؛ فالانفجار لم يكن عاديًا ، وإنما انطلقت منه ألعاب نارية ، تشبه تلك التى تستخدم فى المهرجانات ، وراحت تتفجّر فى الهواء ، وحول المبنى ، بألوان زاهية متعدّدة ، وكأنها تحمل مع أصواتها المتطايرة ضحكة ساخرة ..

ضحكة (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

« ما الذى يقصده بهذا ؟.. »

صاح الحاكم بهذا السؤال فى غضب ، وهو يتحرّك فى مكتبه بتوتر بالغ ، ثم لوّح بذراعه ، وهو يستطرد فى عصبية :

ـ إننى أقيم فى فيلا خاصة ، تقف أمامها باستمرار

واحدة من سيارات الشرطة ، بالإضافة إلى حارسين ، لا يغادرانها إلا عند النوم ، ولكننى استيقظت هذا الصباح ، لأجد واحدة من بطاقات سنيور (أميجو ساندو) إلى جوارى ، مغروسة بمدية صغيرة فى الوسادة ، كما لو أنها رسالة تهديد صارمة .

وشحب وجهه ، وهو يتابع :

ـ تمامًا مثلما حدث لكل منكم .. إنه يثبت قدرته على النيل منا جميعًا فى آن واحد ، ثم لا يُقدم على قتل رجل واحد .. قنبلة الدخان فى السيارة ، كان من الممكن أن تكون قنبلة حقيقية ، وكذلك قنبلة الألعاب النارية فى القسم ، والمدية التى انغرست فى وسادتى ، دون أن أستيقظ ، كان يمكنها أن تنغرس فى عنقى ، أو تذبحنى بلا رحمة .. هذه هى رسالة سنيور (أميجو) .

هتف (مايكل) :

ـ إنه غبى .. لو أننى فى مكانه لاستخدمت قنابل حقيقية على الفور ، وبدون أدنى تردّد .

صاح الحاكم .

ـ ماذا تقول يا سنيور (مايكل) ؟.. هل كنت تفضّل أن يذبحنى بالفعل ؟

قال (مايكل) فى حدة :

- أنا لم أقل هذا ، ولكن من الواضح أن ذلك الرجل يعبث بنا ، ويسخر منا ، ولا ينبغى أن نمنحه الفرصة لهذا .

قال (جوزيه) فى عصبية :

- وماذا تقترح ؟.. إننا نبذل قصارى جهدنا .

أجابه (مايكل) فى حزم :

- فلنبذل المزيد .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا :

- دعونا نفتش منازل المدينة وبيوتها ، بيتًا بيتًا .. فلنرفع قيمة المكافأة إلى الضعف .. أو حتى ثلاثة أضعاف .

هتف (جوزيه) :

- ومن أين لنا بالرجال ، الذين يكفون لتفتيش كل بيت بالمدينة ؟

قال (مايكل) فى حماس :

- سنستأجر لك جيشًا منهم ، و ...

قاطعه (برنارد) فى حنق :

- لم يعد هناك من يرغب فى الانضمام إلينا ، حتى بضعف الأجر السابق .. الجميع يحجمون عن هذا ، بعد أن انتشرت أقاويل ، تشير إلى أن الرجال الذين يعملون معنا ، يتساقطون كالذباب ، الذى يواجه مبيدًا حشريًا فعّالاً .

احتقن وجه (مايكل) فى غضب ، ورمق (برنارد)

بنظرة نارية ، وهو يقول :

- أى قول أحمق هذا ؟

أجابه الحاكم :

- إنه يقول الحقيقة يا سنيور (مايكل) ، فأسلوبكم الهمجى هذا ، لا يمنح الرجال الثقة الكافية .

صاح به (مايكل) :

- ماذا تقترح أنت إذن أيها العبقرى ؟

قال الحاكم فى حدة :

- أقترح خطة منظمة ومتحضرة .

قال (مايكل) فى عصبية :

- مثل ماذا .. إعلانات فى التليفزيون المحلى مثلاً ، تطالبه بتسليم نفسه ؛ لأن (كيواوا) لديها أفضل سجون فى العالم ، وأرق رجال شرطة ؟!

أجابه الحاكم ، وقد تعالى صوته بدوره :

- بل أقترح دوريات بالهليوكوبتر ، وحواجز طرق ، ورادارات .

قال (مايكل) :

- هل تعلم كم يتكلف هذا ؟

صاح به (الحاكم) :

- ليس المهم كم يتكلف .. المهم هل تريدون الظفر

بالسنيور (أميجو) أم لا ؟.. هذا هو السؤال .. لقد أنفقتم مايقرب من مليونى دولار حتى الآن دون طائل، ولن يضيركم إنفاق مليون آخر، فى خطة منظمة.

عقد (مايكل) حاجبيه فى شدة، واستغرق فى التفكير بضع لحظات، والجميع يتطلعون إليه فى ترقب واهتمام، حتى قال فى حزم:

- هذا يحتاج إلى استشارة السنيورا شخصيًا.

التقط (خوان) سماعة الهاتف، وناولها له، قائلاً:

- اتصل بها إذن.

مدّ (مايكل) يده، ليلتقط سماعة الهاتف، ثم تراجع قائلًا:

- لا .. ليس من هنا.

سأله الحاكم:

- ولمَ لا ؟

أجابه فى عصبية:

- إنها أوامرها، ولقد شددت علىّ كثيرًا .. لا محادثات هاتفية من مكان محدود، مهما كانت أهمية الأمر .. الاتصال دائمًا من أماكن عشوائية.

رمقه الحاكم بنظرة صارمة، ثم أعاد مسماع الهاتف، قائلًا:

- فليكن .. اتصل بها من حيث يحلو لك، ولكن احسم الأمر الليلة.

نهض (مايكل)، قائلًا:

- اتفقنا .. دعونا نجتمع ثانية، بعد ساعة واحدة، وستجدون لدىّ القرار النهائى.

اتجه مع (برنارد) إلى الباب، وقبل أن يفتحه، اقتحمه فجأة أحد رجال (برنارد)، وهو يهتف:

- لقد عثروا على الحاكم فاقد الوعى فى منزله، و ...

وبتر عبارته وهو يحدّق فى وجه الحاكم (خوان) بذهول، قبل أن يهتف:

- من هذا بحق الشيطان ؟

استدار الجميع فى حركة سريعة إلى الحاكم، الذى شدّ قامته، فبدا لهم أطول من المعتاد وهو ينتزع عن وجهه قناعًا مطاطيًا رقيقًا، ويبتسم فى سخرية، مصوبًا إلى الجميع مسدسه، وقائلًا:

- دعونى أقدّم نفسى إليكم أيها السادة ..

ولم يخبرهم أن اسمه الحقيقى هو (أدهم) ..

(أدهم صبرى).

* * *

٨ ـ المفـاجأة ..

نفثت (سونيا جراهام) دخان سيجارتها فى عمق، وهى تتطلع إلى (تونى بورسالينو)، قائلة فى برود:

ـ ماالذى أتى بك فى هذه اللحظة يا (تونى)؟

أجابها (تونى) فى حماس:

ـ ثلاثة أسباب هامة يا سيدتى .. أولها أننا عقدنا صفقة بمليار دولار، مع وزارة الدفاع، لتوريد أجهزة توجيه إليكترونية للطائرات الجديدة.

سألته بلا اهتمام:

ـ وثانيها.

أجاب بسرعة:

ـ لقد وافق مجلس الإدارة على المبلغ، الذى طلبه الدكتور (صبرى).

بدا عليها الضجر، وكأنما لاتستحق هذه الأخبار اهتمامها وعنايتها، وقالت:

ـ وماذا أيضًا؟

أحبطه رد فعلها، فتلاشى حماسه إلى حد كبير، وهو يقول:

ـ والعميل المصرى نشر الإعلان المنتظر.

اعتدلت فى اهتمام، وهى تقول:

ـ حقًا؟!.. ولماذا لم تبلغنى هذا فى البداية؟

بدت الدهشة على وجهه، وهو يقول:

ـ لقد رأيت أن صفقة المليار دولار أكثر أهمية يا سيدتى.

صاحت:

ـ غبى.

ثم استطردت فى لهفة:

ـ وأين الإعلان؟

ناولها فى حيرة قصاصة من جريدة الأهرام، تحمل تاريخ اليوم السابق، فوضعتها على مكتبها، وقرأت كلماتها العربية فى عناية ..

«رجل يحمل شهادة فى الترجمة من وإلى الفرنسية، يبحث عن عمل مناسب .. اتصل برقم ٩١٢٦٦٦٧».

برقت عيناها فى ظفر، وهى تقول:

ـ رائع .. هذا يعنى أنه نجح فى زرع كل الأجهزة .. أخبرنى يا (تونى) .. هل وصل فريق التصنت إلى هناك؟

أومأ برأسه إيجابًا، وقال:

ـ نعم .. لقد وصلوا إلى (القاهرة) منذ ساعتين، واتجهوا إلى الشقة التى ابتاعها (ناصر)، فى المنطقة

المعروفة باسم (حدائق القبة)، وهناك سينصبون أجهزتهم، ويبدءون فى تسجيل كل ما يدور فى مبنى المخابرات العامة، بوساطة ما ستنقله إليهم أجهزة التصنت الفائقة الحساسية، التى زرعها (ناصر) هناك.

بدا عليها الظفر، وارتسمت نشوة النصر فى شفتيها اللامعتين، وعينيها نصف المسبلتين، قبل أن تقول فجأة:

- اتصل بـ (مايكل) فى (كيواوا)، وأخبره أننى أرغب فى محادثته.

أسرع يُجرى الاتصال، فى حين شردت هى ببصرها وأفكارها، وهى تطلق سحب الدخان من بين شفتيها فى تلذذ..

ها هى ذى تقترب من اللحظة، التى خططت لها، وحلمت بها طويلًا..

اللحظة التى تعلن فيها - عالميًا - مولد منظمة (سناك) الجديدة، التى لن يمضى وقت طويل، تتربع على عرش الجاسوسية والسلطة فى العالم..

وعندئذ ستحين لحظة الانتقام..

ستنتقم من كل من لفظوها من قبل..

ومن (الموساد) بالذات..

ستثبت لهم أنهم طردوها يومًا، فعادت إليهم أقوى مما كانت..

ستجبرهم على الركوع تحت قدميها، و...

قطع (تونى) تسلسل أفكارها، وهو يقول:

- (مايكل) ليس فى الفندق.. لقد استدعاه حاكم المدينة لاجتماع عاجل.

قالت فى حدة:

- اتصل به إذن فى مكتب الحاكم، ولا تزعجنى قبل أن تسمع صوته.

ثم عادت إلى أحلام نشوتها وظفرها، دون أن تدرى أن مكتب الحاكم (خوان) كان يشهد أعمالًا مثيرة، فى هذه اللحظة بالذات..

مثيرة للغاية..

★ ★ ★

حدّق الجميع فى وجه (أدهم) فى ذهول، غير مصدقين أن الرجل الذى ظلوا يتحدثون إليه، طوال نصف ساعة كاملة، لم يكن الحاكم (خوان) الذى عرفوه..

وهتف (مايكل) فى ذهول:

- مستحيل!.. مستحيل!

أما (جوزيه)، فانهار قائلًا:

- أنت شيطان حقيقى يا سنيور (أميجو).. الشيطان وحده يستطيع تقمص هيئة الآخرين وصوتهم.. أنت شيطان.. أقسم بأرواح آبائى وأجدادى على هذا.

قال (أدهم) فى صرامة :
ـ أقسم بالله وحده يا رجل .
وارتجفت شفتا (برنارد) فى غضب، وهو يقول :
ـ كيف فعلت هذا ؟
هزّ (أدهم) كتفيه في سخرية ، وهو يقول :
ـ كنت أعلم أن هذه الأحداث المختلفة ستربككم ، وتثير غيظكم وحنقكم ، حتى أنكم لن تترددوا فى تلبية دعوة الحاكم ؛ لمناقشة الأمر ، فقمت بزيارة ودية لهذا الأخير وأقنعته بلكمتين أو ثلاث على أن أحل محله ، وأقنع عزيزنا (مايكل) بإجراء اتصال مع سيّدته .
ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يسأل (مايكل) :
ـ أى اسم تنتحل سيّدتك هذه المرة ؟.. وأين يمكننى العثور عليها ؟
هتف (مايكل) :
ـ لن تحصل منى على حرف واحد .
قال (أدهم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه فى حزم :
ـ هذا يعنى أنه لا فائدة من وجودك على قيد الحياة إذن .
شعر (مايكل) بتوتر شديد ، وهو يحدّق فى فوهة المسدس ، ولكن (برنارد) تحرّك فجأة ، وجذب (جوزيه) إليه ، واستلّ مسدسه صائحًا :

ـ وكذلك أنت يا سنيور (أميجو) .
وأطلق النار .
وبقفزة جانبية ماهرة ، تفادى (أدهم) رصاصة (برنارد) ، الذى صرخ فى هياج :
ـ النجدة .. إلىّ يا رجال .
وفى نفس الوقت صاح (جوزيه) ، وهو يحاول التخلص منه :
ـ هل تحتمى بجسدى ؟.. ابتعد يا رجل .. اتركنى .
كان (أدهم) يستطيع إطلاق النار ، وقتل (جوزيه) ، و (برنارد) فى آن واحد ، ولكن العجيب أنه لم يحاول حتى هذا ، وإن أطلق النار على مسدس (برنارد) ، فأطاح به بعيدًا ، وهو يقول :
ـ لنا لقاء آخر يا سادة .
اقتحم رجال (برنارد) المكتب في هذه اللحظة ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ، فاستدار (أدهم) ، واندفع نحو النافذة ، و (برنارد) يصرخ :
ـ اقتلوه .. أطلقوا النار .
ووثب (أدهم) نحو النافذة ، وانطلقت الرصاصات ، ولكنه اخترق النافذة فى اللحظة نفسها ، وهبط من ارتفاع طابقين ، ودار جسده دورة رأسية مدهشة فى الهواء ،

ليخفف من سرعة سقوطه ، قبل أن تنثنى ركبتاه ، وهو يلمس الأرض بقدميه ، ثم هبّ واقفًا ، وانطلق يعدو عبر الشارع ، فصاح (برنارد) من النافذة :

ـ طاردوا هذا الرجل .. مائة ألف دولار لمن يعترض سبيله .

لم يكد بعض المارة يسمعون الرقم ، حتى اندفعوا نحو (أدهم) ، فى محاولة لاعتراض سبيله ، ولكن قبضة (أدهم) أزاحت اثنين أو ثلاثة بضربات كالقنابل ، وهو يقول ساخرًا :

ـ من يرغب فى إنفاق المبلغ لعلاج وجهه المحطَّم ؟

تراجع الجميع فى خوف ، وأفسحوا الطريق أمام (أدهم) ، الذى اقتحم شارعًا جانبيًا ضيقًا ، ووثب داخل (البورش) الحمراء ، التى تنتظره تحت غطاء من الورق ، وهو يهتف فى جذل :

ـ هيَّا بنا .

ضغطت (منى) دوَّاسة الوقود ، واندفعت بالسيارة خارج الشارع الضيق ، ثم انحرفت فى الطريق الرئيسى ، وانطلقت بأقصى سرعة ، وصوت (برنارد) يضيع فى الهواء خلفها :

ـ اللعنة !.. اللعنة .

أطلقت (منى) ضحكة جذلة ، وهى تقول :

ـ يا إلهى !.. كم يروق لى هذا .. لو سألتنى رأيى ، لأخبرتك أننى أتمنى البقاء هنا لأطول وقت ممكن ، لو أن اللعبة ستظلّ ممتعة على هذا النحو .

لاحظت صمت (أدهم) ، فالتفتت إليه ، مستطردة :

ـ ولكننا مضطران للرحيل ، بسبب الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !.. (أدهم) .. أنت مصاب .

كانت هناك بقعة من الدم ، تلوّث ذراع سترته الأيسر ، ولكنه قال فى هدوء حازم :

ـ إنه جرح محدود ، فلقد اخترقت رصاصة جانب ذراعى ، وعبرته إلى الجانب الآخر .. مجرَّد إصابة يمكننا تضميدها .

هتفت ، وهى تزيد من سرعة السيارة :

ـ سنفعل بالتأكيد .

انطلقت بالسيارة عبر الشوارع الخلفية الضيقة ، حتى بلغت منزل (أدهم) ، فانحرفت فى مهارة ، وهى تضغط زرًا صغيرًا ، انفتح على أثره باب مخزن السيارة الإليكترونى ، فدلفت إليه بالسيارة ، ثم ضغطت زر جهاز التحكم عن بعد (الريموت كنترول) مرة أخرى ، فأغلق الباب خلفهما ، والتفتت إلى (أدهم) ، قائلة فى حنان :



صعدا معًا إلى المنزل ، وراحت هى تغسل الجرح وتضمِّده فى مهارة ..

- والآن دعنا نضمِّد جرحك .

صعدا معًا إلى المنزل ، وراحت هى تغسل الجرح وتضمِّده فى مهارة ، وهى تقول :

- هل نجحت ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

- كلَّا .. ذلك الوغد لديه تعليمات مشدَّدة من (سونيا) ، بعدم الاتصال بها بناء على طلب أحد .. لقد درست تلك الماكرة الأمر جيِّدًا هذه المرة .. إنها تعلم أننى أستطيع التنكُّر فى هيئة تخدعه ، ويمكننى التوصّل إليها بناء على هذا .

غمغمت :

- أنت تعرف (سونيا) .

تنهَّد وقال :

- نعم .. أعرفها جيِّدًا .

عاودها الشعور بالغيرة مع عبارته ، وأدركت أنه خير من يعرف (سونيا جراهام) ، بعد أن ظلّ زوجًا لها لفترة طويلة ، وتابع هو فى مرارة :

- ولكن الوصول إلى (سونيا) حتمى .. إنها السبيل الوحيد لاستعادة ابنى .

غمغمت فى أسى :

- سأعاونك بقدر استطاعتى على هذا .

صمت لحظات ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم انعقد حاجباه فجأة فى شدة ، وهو يقول :

ـ لدى خطة مدهشة .

سألته فى اهتمام :

ـ ما هى ؟

اعتدل جالسًا ، وهو يقول :

ـ اسمعينى جيّدًا .

وراح يشرح لها خطته ..

وكانت خطة مدهشة ..

مدهشة بحق ..

★ ★ ★

سعل الحاكم (خوان) فى شدة ، وبدا شديد التوتر والانفعال ، وهو يقول :

ـ لقد فاجأنى فى حجرة نومى .. لست أعلم كيف تجاوز الحراسة ورجال الشرطة والخدم ، ووصل إلىّ على هذا النحو ، ولكننى كنت أستعد لارتداء ثيابى ، عندما وجدته أمامى مباشرة ، ولم أكد ألتفت إليه ، حتى عاجلنى بلكمة كالقنبلة ، انفجرت فى فكى ، فلم أشعر إلا وهم يوقظوننى منذ قليل .

هتف (برنارد) :

ـ هذا الحقير .. لقد كان بين أيدينا .. فى قبضتنا ، ولكنه هرب فى بساطة ، كما يحدث فى كل مرة .. هذا يجعلنى أشعر بالتفاهة .

قال (جوزيه) ، ولم يزايله انبهاره بعد :

ـ ولكن تنكّره كان مدهشًا ، مذهلًا .. إننى أعرف الحاكم منذ سنوات ، وأكاد أقسم إنه كان نسخة طبق الأصل منه .. أصارحكم القول أيها السادة .. لقد بدأت أصدّق أن هذا الرجل شيطان بحق .

قال (مايكل) فى حدة :

ـ كفى سخافات يا رئيس الشرطة .. إنه مجرّد رجل ، ولكنه يجيد مهارات شتى ، ويمتلك مواهب لا حصر لها ، وهذا ما يجعله صعب المنال .

غمغم الحاكم :

ـ من العسير تصديق وجود رجل مثله ، فى عالم الواقع .

قال (مايكل) :

ـ وهذا سر قوته الوحيد .. أن تدهشك جرأته ، وتذهلك شجاعته ، وتربكك مهاراته ، ولكنك لو توقّعت كل هذا ، وأنت تشتبك معه ، وأعددت خطتك من هذا المنطلق ، فسيمكنك الإيقاع به .

أشاح (جوزيه) بوجهه، وهو يقول:
- من السهل القول.
وقال (برنارد) فى حنق:
- ثم أين تجده؟.. لقد أصبح زمام المبادرة فى يده هو، يهاجم وقتما يحلو له، ويختفى فى لحظات.
وافقه الحاكم، قائلًا:
- هذا صحيح.. لو عرفنا مكانه، ستختلف الأمور كثيرًا.
لم يكد يتمّ عبارته، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص، فالتقط مسماعه، قائلًا فى قلق:
- الحاكم (خوان).. من الـ...
وبتر عبارته، وعيون الجميع تتعلّق به فى تساؤل، ولكنه هتف فجأة:
- سنيورا (نورما).. كيف حالك؟.. كم يسعدنى سماع صوتك يا سيدتى.
توترت أعصاب الرجال الثلاثة فى شدة، وهم يتبادلون نظرات قلقة، ثم ناول الحاكم مسماع الهاتف إلى (مايكل)، وهو يهمس:
- إنها تريد التحدث إليك.

التقط (مايكل) المسماع بأصابع مرتجفة، ووضعها على أذنه، قائلًا:
- مساء الخير يا سيدتى.
سألته (سونيا) مباشرة:
- ما الأخبار عندك يا (مايكل).
ارتبك وهو يقول:
- لقد بذلنا قصارى جهدنا يا سيدتى، ولكن...
قاطعته فى حدة:
- ماذا تعنى؟
ارتجف صوته، وهو يقول:
- لقد.. لقد اختفى.
صرخت فى غضب:
- اختفى.
ثم استطردت فى حدة:
- كيف فشلتم فى اقتناصه أيها الحقير.. لقد منحتكم ثلاثة ملايين دولار، وصلاحيات لاحصر لها، فكيف تفشلون فى التخلص من رجل واحد.
قال (مايكل) فى عصبية:
- إنه ليس رجلًا عاديًا يا سيدتى.. إنه شيطان مريد.. لقد كونّا جيشًا من مائة رجل، لم يتبق منه سوى عشرة

رجال ، ولقد اختفى السنيور (أميجو) تمامًا ، على الرغم من أنه لم يغادر المدينة ، وهو يظهر بين الحين والآخر ، فيضرب ضربته ، ويثير هلعنا ، ثم يختفى .

قالت (سونيا) فى مقت :

ـ إنه يكرّر لعبة (شيطان المافيا)(★) .

قال (مايكل) :

ـ لقد انتحل منذ قليل شخصية الحاكم (خوان) ، ونجح فى خداعنا جميعًا بتنكّر مدهش وعجيب .. لايمكنك أن تتصوّرى مدى إتقان وبراعة تنكّره يا سيّدتى ..

قالت فى حنق :

ـ بل أتصوّر هذا جيّدًا .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ هل أنتم واثقون من أنه ما يزال فى المدينة ؟

أجابها بسرعة :

ـ تمام الثقة يا سيّدتى ، ولكننا لم نعثر عليه ، على الرغم من أن تحركاته تشير إلى أنه يمتلك كل الأدوات والمعدات التى يحتاج إليها ، وهذا يعنى استقراره فى مكان ما .

صمتت لحظات ، وهى تفكّر فى عمق ، ثم قالت :

(★) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨) .

ـ اسمعنى جيّدًا إذن يا (مايكل) ، ونفذ ما أقوله بالحرف الواحد ، فالأسلوب الذى يتبعه (أدهم) .. أقصد (أميجو) ، لاتصلح عقول رجال العصابات ، أو المرتزقة أمثالكم فى التعامل معه .. إنه أسلوب أكثر تطوّرًا ، يحتاج إلى عقلية مماثلة ، تلقت نفس نوع التدريبات تقريبًا .

وراحت تشرح له خطتها ..

وبمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

بدا الاهتمام على وجه مدير المخابرات المصرية ، وهو يقول لمعاونه :

ـ إذن فقد وصل الرجال ، وهم الآن فى تلك الشقة ، فى (حدائق القبة) .

أومأ المعاون برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيّدى ، ولقد زوّدنا الشقة بوسائل المراقبة ، وسيتم تسجيل كل لحظة لهم فيها ، بالصوت والصورة .

سأله المدير :

ـ وماذا عن (ناصر) ؟

ابتسم الرجل ، وقال :

ـ لست أظنه يفكّر فى خيانتنا .. داخل حدود (مصر) على الأقل ، فهو سيذهب إليهم فى الشقة ، وهو يعلم أننا

تراقب كل ركن فيها ، مما سيضطره للتصرّف كما طلبنا منه تمامًا ، ثم أننا نضع مراقبة دقيقة حول المنطقة كلها ، ولن يمكنهم الفرار ، حتى ولو كشف (ناصر) لهم الأمر .

بدا الارتياح على وجه المدير ، وهو يقول :

ـ وفريق التسجيلات .

هزّ الرجل رأسه ، وقال :

ـ كل شيء معد بمنتهىٰ الدقة يا سيّدى ، فهناك عدد من رجالنا فى خمس حجرات فى الطابق الأرضى ، سيقومون طوال الوقت بالتحدّث والمناقشة ، أمام أجهزة التصنت ، كما لو أنهم يجهلون وجودها تمامًا ، وسيجد هؤلاء الأوغاد ما يرصدونه ويسجلونه طوال الوقت ، حتى أنهم لن يشعروا أبدًا بأننا كشفنا أمرهم .

تنهّد المدير ، وقال :

ـ عظيم .. كل شيء يسير على ما يرام إذن ، بالنسبة لهذا الجزء من الخطة ، وبقى أن يصل (أدهم) ، لنبدأ تنفيذ الجزء الثانى .

سأله معاونه :

ـ ألم تتصل الرائد (منى) يا سيّدى ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. ليس بعد ، وهذا يشعرنى بالقلق ، خاصة وأنا

أعلم أن تدمير مزرعة (أدهم) فى (كيواوا) ، يعنى أنه يخوض هناك حربًا .. حربًا بلا هوادة .

وكان المدير على حق ..

★ ★ ★

«خطة رائعة يا (أدهم) ...» .

بدا متحمسًا ، وهو يقول :

ـ المهم أن تقنعه بكشف كل ما لديه ، بحيث يقودنا إلى (سونيا) .

قالت وهى تختلس النظر إليه :

ـ وإلى ابنك بالتالى .

أومأ برأسه ، وهو يتنهّد ، قائلًا :

ـ نعم .. وابنى بالتالى .

قاومت شعورها بالغيرة والضيق ، وهى تقول :

ـ ولكن هل تظن أنه سيقع فى الفخ ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ـ هذا يتوقّف على نجاح دورك فى الخطة .

قالت فى قلق :

ـ هناك مشكلة الصوت .

قال فى هدوء :

ـ سنجد حلًا لها .

ثم اعتدل فجأة ، وبدا عليه الاهتمام ، وهو ينصت جيدًا ، فأرهفت سمعها بدورها ، وهى تسأله هامسة :

ـ ماذا هناك ؟

لم تكد تتم سؤالها ، حتى التقطت أذناها أزيز عدد من طائرات الهليوكوبتر ، تحوم حول المكان ، فانعقد حاجباها فى توتر ، وهى تقول :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

ابتسم فى سخرية ، قائلًا :

ـ يبدو أن هؤلاء الأوغاد قد اقتنعوا باقتراحى ، وبدءوا عمل دوريات الهليوكوبتر .

قالت فى قلق :

ـ ولكن هناك ضجيج غير طبيعى فى المنطقة .

وتحرّكت فى سرعة إلى النافذة ، وأزاحت أستارها فى حذر ، ثم قالت :

ـ تحركات الشرطة فى المنطقة تدعو إلى الريبة يا (أدهم) .

نهض فى سرعة ، وألقى نظرة بدوره عبر النافذة ، ثم انعقد حاجباه ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ أنت على حق .. إنهم ينتشرون على نحو مثير للشك ، ويتحركون بعصبية واضحة .

سألته :

ـ هل تعتقد أنهم يعرفون أننا هنا ؟

قال فى قلق :

ـ أو أنهم يفتشون كل شبر بالمدينة ، كما اقترح (مايكل) .

وأعاد الستارة إلى موضعها ، وهو يستطرد :

ـ وليس هناك ما يمنع من اتخاذ الاحتياطات اللازمة .

التقط مسدسًا ، وجهازًا صغيرًا فى حجم قداحة عادية ، وذهنه يعمل فى سرعة ..

لقد اتخذ كل الاحتياطات اللازمة ، التى تعلّمها فى عالم المخابرات ، لتأمين شخصية (ماريو ألبرتو) ، وهذا المنزل الآمن ..

كل الاحتياطات ..

ولكن هل أمكنهم كشف أمره ، على الرغم من هذا ؟..

لو أنهم فعلوا ، فهذا يعنى أنهم أكثر مهارة مما يتصوّر ..

وأن عليه أن يعدّل أسلوب تعامله معهم ..

ركّز انتباهه على أزيز طائرات الهليوكوبتر ، التى أحاطت بالمكان ، وراحت تحوم حوله فى نسق ثابت ..

إنها أربع طائرات ، من الطراز المزوّد بالمدافع الآلية ..

لماذا تصرّ على الطيران هنا بالذات ؟

وفى قلق متزايد ، قالت (منى) :

ـ أعتقد أنهم كشفوا أمرنا يا (أدهم) .

أجابها فى حزم :

ـ سنتصرّف وفقًا لهذا الافتراض ، ولو ثبت العكس ، يكون هذا من حسن حظنا ، وسيمكننا عندئذ أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، هوى سيل من الرصاصات على رتاج الباب ، فانتزعه من مكانه ، وأطاح به بعيدًا ، ثم اندفع (برنارد) و (مانيو) و (روكو) ، مع فريق ضخم من رجالهم ورجال الشرطة إلى المكان ، وارتفعت عشرات المدافع الآلية فى وجهى (أدهم) و (منى) ، ثم قال (برنارد) فى لهجة شامتة ظافرة :

ـ مفاجأة .. أليس كذلك ؟

وكانت بالفعل مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

وقاتلة .

★ ★ ★

[انتهى الجزء الثانى بحمد الله
ويليه الجزء الثالث والأخير]
(المعركة الفاصلة)

رقم الإيداع : ٣٦١٩